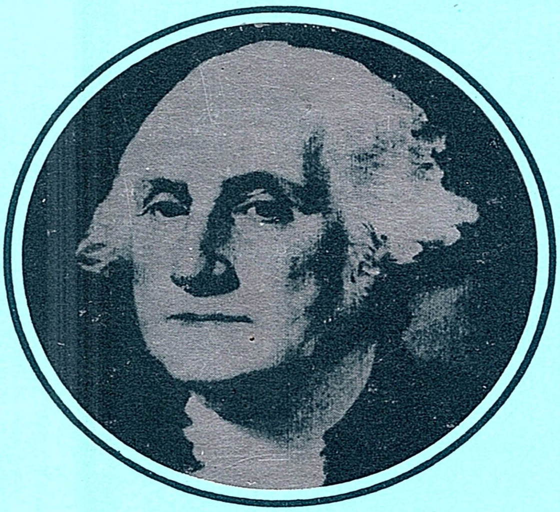
مشاهير قادة العالم



جورج واشنطن

١٧٣٢-١٧٩٩

تأليف

بسام العسلي

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

مشاهير قادة العالم

جورج واشنطن

١٧٣٢-١٧٩٩

تأليف
بسام العسلي

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر



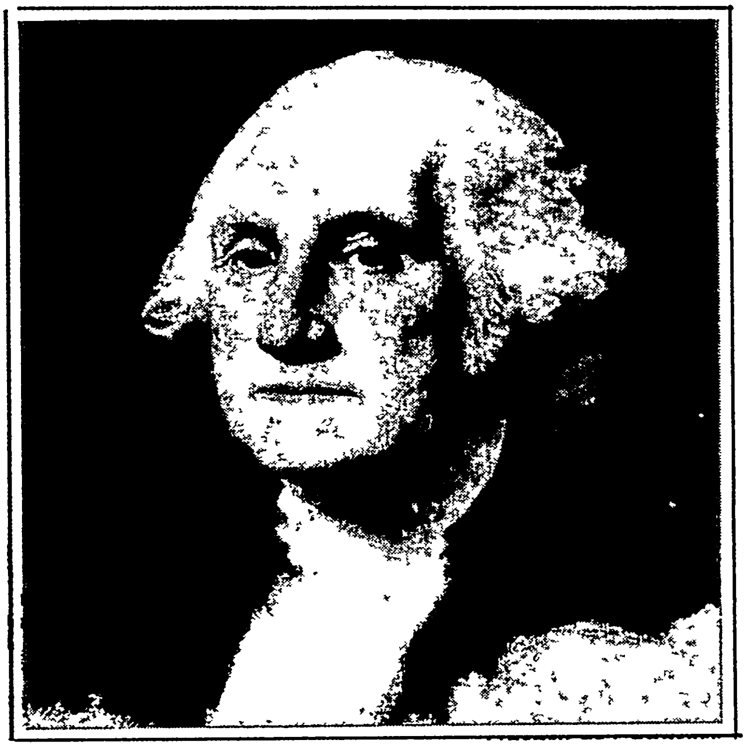
جورج واشنطن

١٧٣٢-١٧٩٩

تأليف
بسام العسلي

الطبعة الاولى

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م



المقـدّمـة

انتصرت الثورة الأمريكية ، واعترفت انكلترا باستقلال الولايات المتحدة الثلاث عشرة يوم ٣٠ تشرين الثاني – نوفمبر – ١٧٨٢ . وتمضي الأيام والأشهر والسنين حتى تبلغ المائتي سنة .

ويرتفع عدد الولايات فيبلغ الخمسين ، ويرتفع عدد سكان الولايات المتحدة حتى يبلغ (٢٢٠) مليوناً في سنة (١٩٨٠) . ولكن ، وعلى الرغم من تقادم الزمن ، وعلى الرغم من تعاظم قدرة أمريكا لتصبح إحدى الدولتين العظميين في العالم ، وعلى الرغم أيضاً مما وصلته الولايات المتحدة من تقدم علمي وتطور تقني ، على الرغم من ذلك كله ، فما زالت البصمات العميقة التي وضعها «جورج واشنطن» على جسم الأمة الأمريكية بادية بوضوح ، ظاهرة بجلاء ، حتى كأن بطل الاستقلال وقائد جيش حربها ، ما زال يطل باشراقته ، ولا زال يقف بحضوره من فوق «البانتاغون» وعلى منبر «الكونغرس» .

نتيجة لذلك ، لم يعد من الغريب أن يذهب الباحثون في التاريخ والاقتصاد والاجتماع لتحميل جورج واشنطن تبعات ما أقدم عليه ، وما لم يقدم على تنفيذه أو حتى على التفكير به . ولقد استجدت على حياة المجتمع الأمريكي أمور كثيرة ، وظهرت مشكلات أكثر تعقيداً مما كانت عليه مشكلات «مجتمع الاستقلال» . فهل يمكن تحميل جورج واشنطن تبعات الماضي والحاضر وحتى المستقبل ؟ .

لقد كانت «حرب الاستقلال الأمريكية» حرباً ثوروية رائدة ، لا في صراعها المسلح وطرائق قتالها فحسب ، وإنما في القيم الاجتماعية التي مثلتها ، فكانت هذه القيم مناراً استمدت منه «ام الثورات» – الثورة الفرنسية – اشعتها التي اطلقتها فأنارت

ظلمات المجتمع الصناعي في فجر ثورته . وكانت الثورة الأمريكية ، والثورة الافرنسية المشتقة عنها ، من الثورات التقدمية الرائدة . وقد انحرفت الثورتان عن أهدافهما ، فأصبحت فرنسا الحرية ، هي ذاتها فرنسا الاستعمارية التي هيمنت على معظم المناطق في القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين . وأصبحت أمريكا الاستقلال والحرية هي ذاتها أمريكا الامبريالية التي انطلقت لابادة الشعوب الطامحة للاستقلال في الشرق الأقصى «ڤييتنام وكوريا» وهي ذاتها التي تدعم أبشع الأنظمة الاستعمارية الاستيطانية في فلسطين وجنوب أفريقيا .

قد يكون ذلك مثيراً للسخرية بدرجة كافية .

وقد يكون ذلك غريباً بالقدر الكافي .

غير أنه من المحال في الحالات كلها تحميل جورج واشنطن وجيل حرب الاستقلال تبعات ما حدث من انحرافات ثقيلة . وهي انحرافات ليست بالمثيرة ، وليست بالغريبة على حياة الأمم والشعوب ، لا في العالم القديم ، ولا في العالم الحديث ، وها هي دول كثيرة ما تكاد تنفض عنها غبار الاستعمار حتى تحمل ثوب الدول الاستعمارية ، اما بذريعة حماية نفسها ، واما بذريعة الدفاع عن قيمها ومثلها وفضائلها .

لقد ظهر «جورج واشنطن» على مسرح الأحداث مع غروب شمس القرن الثامن عشر فكان مرآة لمجتمعه الأمريكي خاصة ، وصورة لعالمه المعاصر عامة . وقد يكون من غير الطبيعي ، ومن غير المنطقي ، محاكمة حدث تاريخي بعيداً عن عصره وبمعزل عن محيطه الجغرافي ، أو بيئته الاجتماعية ، ذلك ان هذا الحدث ، وباتفاق جميع الباحثين في كل العلوم ما هو الا نتاج مقطر باحكام تحت تأثير مجموعة العوامل الاجتماعية والجغرافية والبشرية في الظرف الزمني المحدد .

القضية بعد ذلك ليست قضية دفاع عن «جورج واشنطن» فبلاده أحق بالدفاع عن منجزاته وفضائله والقيم التي يمثلها . غير أن المهم هو التعلم من «دروس التاريخ» ، ويشكل جورج واشنطن في هذا المجال استاذاً ضخماً من أساتذة التاريخ ، وهو قبل كل شيء استاذ بارز من أساتذة فن الحرب .

لقد قاد جورج واشنطن بلاده في وقت كانت فيه انكلترا قد امتلكت السيطرة

على مفاتيح البحار ، فكانت قيادته للحرب ، وبمثل الظروف التي تفجرت فيها هذه الحرب ، أقرب للمغامرة وأشبه بالحلم . ومن هذه المغامرة ، وعبر هذا الحلم حقق واشنطن أروع انتصاراته .

لقد عمل على قيادة الحرب بأساليب «الحروب الثورية» فكان بذلك رائداً من رواد قادة الحروب الثوروية .

ونظم جيشه وفقاً للأساليب المتقدمة في عصره . فكان قائداً بارزاً في مجال تنظيم الجيوش وادارة الحروب النظامية .

وتولى إدارة بلاده في أصعب فترة من تاريخها – فترة فجر الاستقلال – فكان رجل دولة من الطراز الأول ، يتجاوز في الحالات كلها ظروف الحاضر إلى افق المستقبل. **ذلك هو أكثر ما يمكن تعلمه من حياة (خادم وطنه وشعبه – جورج واشنطن)** .

وتبقى بعد ذلك أبواب التاريخ مفتوحة أمام رواد التاريخ لتعلم كل ما هو مفيد لبناء المستقبل . (وقل رب زدني علماً).

بسام العسلي

الوجيز في حياة جورج واشنطن
١٧٣٢ - ١٧٩٩

سنة	وجيز الأحداث
١٧٣٢	ولادة جورج واشنطن في فرجينيا . قريباً من قرية الجسر اليوناني يوم ٢٢ شباط «فبراير» .
١٧٤٨	واشنطن يتولى مهمة مسح منطقة واسعة من الأراضي في فرجينيا ، ليصبح بعدها مسؤولاً رسمياً عن المساحة في مقاطعة «كالبيير» .
١٧٥٥	واشنطن يصبح عقيداً ، وقائداً لقوات فرجينيا ، على أثر نجاحه وهو برتبة مقدم في محاربة الافرنسيين بقوات المتطوعين «الميليشيا» .
١٧٥٩	زواج واشنطن من «مارثا كاستيس» وضم أملاك زوجته إلى أملاكه ، فأصبح من أغنى رجالات أمريكا .
١٧٧٤	حضور واشنطن الكونغرس القاري الأول الذي عقد في فيلادلفيا .
١٧٧٥	«١٥ حزيران - يونيو» حضور واشنطن الكونغرس القاري الثاني وهو يرتدي ثياب الميليشيا ، إشارة إلى استعداده لخوض الحرب ضد بريطانيا . والكونغرس يرفع الفرجيني جورج واشنطن إلى رتبة فريق ، ويسند إليه قيادة جيش الولايات .
١٧٨١	انتصار واشنطن في «ترنتون» و« يورك تاون » .
١٧٨٢	انتهاء حرب الاستقلال وانتصار الولايات المتحدة .
١٧٨٣	تسريح الجيش الأمريكي ، واستقالة واشنطن من عمله كقائد عام ، وعودته إلى مونت فيرنون .
١٧٨٧	انتخاب واشنطن أول رئيس للولايات المتحدة .
١٧٨٩	واشنطن يقسم اليمين على أول دستور أمريكي .
١٧٩٣	انتخاب واشنطن للمرة الثانية لرئاسة الولايات المتحدة .

١٧٩٧	رفض واشنطن تجديد رئاسته ، واعتزاله السلطة ، وعودته إلى مونت فيرنون لإدارة مزارعه .
١٧٩٩	وفاة واشنطن يوم ١٤ كانون الأول – ديسمبر – ودفنه في « مونت فيرنون » .

الوجيز في حرب الاستقلال الأمريكية

١٧٧٥

١٩ نيسان «ابريل»—القتال في لكسينغتون وكونكورد .

١٠ أيار «مايو»—الثوار يستولون على تيكونديروغا.

١٢ أيار «مايو»—الثوار يستولون على كراون بوينت .

١٧ حزيران «يونيو»—معركة بانكرهيل .

٣ تموز «يوليو»—واشنطن يتولى قيادة جيش الثوار المحتشد في كامبريدج كومون – ويحاصر «بوسطن» .

٣١ كانون الأول «ديسمبر»—فشل الهجوم على كويبك .

١٧٧٦

١٧ آذار «مارس»—جلاء الانكليز عن بوسطن وابحارهم إلى هاليغاكس .

٦ حزيران «يونيو»—معركة الانهار الثلاثة ، وتمزق جيش الثوار تمزقاً تاماً .

٤ تموز «يوليو»—إعلان الاستقلال .

٢٧ آب «أغسطس»—معركة «لونغ ايسلاند» و«هوا» يقود مناورته في «بوتنام» .

١٢ أيلول «سبتمبر»—الأمريكيون يتخلون عن نيويورك .

١٦ أيلول «سبتمبر»—معركة مرتفعات هارلم ، وواشنطن يقاتل قتالاً تأخيرياً «اعاقة» ضد «هوا» .

٢٨ تشرين الأول «اكتوبر»—معركة جزيرة «فالكور». وتدمير السفن الأمريكية أو أسرها .

معركة السهول البيضاء ، والجيش الانكليزي يقاتل بعناد ويطرد الأمريكيين من ميدان المعركة .

٢٦ كانون الأول «ديسمبر»—الاغارة على ترنتون ، وواشنطن يباغت مفرزة الهسيان .

١٧٧٧

٣ كانون الثاني «يناير»—معركة «برانستون» وانتصار واشنطن.

٥ تموز «يوليو»—بورغوين يستولي على تيكونديروغا .

٧ تموز «يوليو»—معركة «هوباردتون» ، بورغوين يهزم مؤخرة الأمريكيين .

٨ آب «أغسطس»—معركة «أوريزكاني» . وفيها اشترك جوزيف برانت مع الايروكواز وكمائن التوري بقيادة الجنرال نيكولاس هيركيمر الذي اصيب بجراح قاتلة . ودمر نصف الرتل في محاولة لدعم قلعة ستانويكس على نهر موهاوك .

١٦ آب «أغسطس»—معركة «بينيڠتون» ، وهزيمة الهسيان القادمين من قبل بورغوين هزيمة ساحقة .

١١ ، أيلول «سبتمبر»—معركة «براندوين غريك» ، و «هوا» يهزم واشنطن .

١٩ ، أيلول «سبتمبر»—معركة «مزرعة فريمان» ، وهزيمة بورغوين .

٢١ ، أيلول «سبتمبر»—العمل في باولي ، وهزيمة اللواء البريطاني بقيادة الجنرال انتوني واين .

٢٦ أيلول «سبتمبر»—«هوا» يحتل فيلادلفيا .

٤ تشرين الأول «اكتوبر»—معركة جرمان تاون، و «هوا» يدحر واشنطن .

٧ تشرين الأول «اكتوبر»—معركة «مرتفعات بيميس» ، وهزيمة بورغوين من جديد .

١٧ تشرين الأول «اكتوبر»—استسلام بورغوين في «ساراتوغا» .

١٧٧٨

٦ شباط «فبراير»–توقيع معاهدة التحالف الافرنسي – الأمريكي .

١٧ حزيران «يونيو»–اندلاع الحرب بين فرنسا وانكلترا .

١٨ حزيران «يونيو»–انسحاب الانكليز من فيلادلفيا .

٢٨ حزيران «يونيو»–معركة «مونماوث» ، بين واشنطن وكلينتون الذي انسحب إلى نيويورك وحوصر فيها .

٢٩ كانون الأول «ديسمبر»–استيلاء الانكليز على سافاناه .

١٧٧٩

٢٩ كانون الثاني «يناير»–استيلاء الانكليز على «أوغستا» و«جورجيا» .

٢١ حزيران «يونيو»–اسبانيا تعلن الحرب على انكلترا ، غير انها تنحرف عن تأييد استقلال امريكا .

٢١ حزيران «يونيو»–بدء حصار جبل طارق وهو الحصار الذي انتهى يوم ٦ شباط «فبراير» سنة ١٧٨٣م .

٢ أيلول «سبتمبر»–القوات الفرنسية–الأمريكية تحاصر سافاناه .

٢٨ تشرين الأول «اكتوبر»–دفاع الانكليز الناجح تحت قيادة الجنرال «أوغستين بروفوست» .

١٧٨٠

١١ شباط «فبراير»–الجنرال كلينتون يحاصر شارلستون .

١٢ أيار «مايو»–الاستيلاء على شارلستون ، أسوأ كارثة يتعرض لها الأمريكيون في الحرب .

١٦ آب «أغسطس»–معركة «كامدن» ، وانتصار كور نواليس .

٧ تشرين الأول «اكتوبر»–معركة «كينغ ماونتن» ، وانتصار الميليشيا الأمريكية على التوري .

	٢٠ كانون الأول «ديسمبر»—انكلترا تعلن الحرب على البلاد المنخفضة «نيذرلاند» .
١٧٨١	
	١٧ كانون الثاني «يناير»—انتصار الجنرال دانييل مورغان على العقيد باناستر تارلوتون في معركة «كاوبن» .
	١٥ آذار «مارس»—انتصار كورنواليس على غرين في معركة «غيلفوردكورت هاوس» ، غير ان الأمريكيين ينجحون في سحب قواتهم بنظام .
	١٩ نيسان «ابريل»—معركة «هوبريك هيل» ، وانتصار العقيد فرانسيس راودون على غرين ودحره .
	٨ أيلول «سبتمبر»—معركة «أوتاوسبرينغ» ، وانتصار المقدم الكسندر ستيوارت على غرين .
	أيلول «سبتمبر» حصار يورك تاون .
	١٩ تشرين الأول «أكتوبر»—واشنطن وروكامبو يرغمان كورنواليس على الاستسلام .
١٧٨٢	
	٣٠ تشرين الثاني «نوفمبر»—معاهدة باريس وانتصار الثورة وإستقلال أمريكا .

بيان اعلان الاستقلال الأمريكي

عنوان بيان اعلان الاستقلال الأمريكي . وقد كتب على رقاق الجلد بخط اليد، وكتب يوم اعلانه بتاريخ ٤ تموز «يوليو» ١٧٧٦ ، غير انه تم التوقيع عليه من قبل ممثلي الولايات الثلاث عشر يوم ٢ – آب – اغسطس ١٧٧٦ .

IN CONGRESS, JULY 4, 1776.

A DECLARATION

BY THE REPRESENTATIVES OF THE

UNITED STATES OF AMERICA

IN GENERAL CONGRESS ASSEMBLED

ترجمة نص البيان :

عندما يرى شعب من الشعوب ، في مجرى الحوادث البشرية ، ان الضرورة تحدوه إلى قطع العلاقات السياسية التي تربطه بشعب آخر ، وإلى أن يحتل بين دول العالم وبمساواتها ، مكانه الخاص الذي تمنحه الحق به قوانين الطبيعة ، وإله الطبيعة ، فإن الاحترام الصحيح لرأي الإنسان يتطلب من هذا الشعب أن يعلن الأسباب التي حملته على هذا الانفصال .

هذه الحقائق ، هي في نظرنا ، حقائق بدهية بذاتها ، وهي أن جميع الناس يولدون متساوين ، وأن خالقهم منحهم حقوقاً ثابتة ، ومنها حق الحياة والحرية والسعي وراء السعادة . وأن الناس يقيمون الحكومات التي تستمد سلطتها من رضي المحكومين وموافقتهم ، وأن حكومة ما ، مهما كان نظام حكمها ، إذا ما أنكرت هذه

الحقوق (أو تنكرت لها) فمن حق الشعب أن يغيرها، أو أن يزيلها ليحل محلها حكومة جديدة، ويقيمها على مثل هذه الحقوق والمبادئ وينظم سلطاتها، حسبما يبدو له أنسب الأشكال وأضمنها لتحقيق أمنه وسعادته.

ومن الحكمة، بلا شك، الا يُعْمدَ لأسباب بسيطة وعابرة إلى قلب حكومات استقرت منذ أمد طويل. فالناس، كالعهد بهم دائماً، مهيأون لمعاناة الشرور التي يمكن احتمالها، أكثر من تهيؤهم لانتزاع حقوقهم بقلب الأنظمة التي اعتادوها وألفوها.

لكن عندما ينمّ استمرار الفساد والتعسف، في اتجاههما الثابت إلى هدف واحد، عن نية إخضاع الناس لاستبداد مطلق، فمن حق هؤلاء، بل من واجبهم أن يطيحوا بحكم كهذا، ويسعوا وراء ضمانات أخرى، يصونون بها أمنهم في المستقبل.

وهكذا، طال صبر المستعمرات على ما هي فيه، وهذه هي الضرورة التي تضطرهم الآن إلى تغيير نظام حكمهم السابق. فتاريخ الجالس على عرش بريطانيا اليوم، تاريخ حافل بالتعسف والمظالم المتكررة التي لا تتوخى جميعها إلا هدفاً مباشراً واحداً هو توطيد حكم طغيان مطلق على ولاياتنا. ولإقامة البرهان على ذلك، يكفي أن نسرد الحوادث الواقعة ليحكم عليها عالم حيادي:

رفض الملك الموافقة على أكثر القوانين ملاءمة للصالح العام.

منع حكامه من إصدار قوانين ضرورية وملحة، إلا إذا أرجأ تطبيقها وعلقه على موافقته، وهكذا أهملها كل الاهمال، ولم يعرها شيئاً من اهتمامه.

رفض إصدار قوانين أخرى نافعة ولازمة لقطاعات كبيرة من السكان، إلا إذا تخلى هؤلاء عن حقهم في أن يمثلوا في المجالس التشريعية، وهو الحق الثمين الذي لا يخشاه سوى الطغاة.

دعا إلى انعقاد المجالس في أمكنة غير مألوفة، لا راحة فيها، وبعيدة عن أماكن الوثائق والسجلات ومستودعاتها، وهدفه اكراه المجتمعين على الرضوخ لإجراءاته، بإرهاقهم وشل أعمالهم.

عمد في مناسبات متعددة إلى حل المجالس التشريعية التي عبرت بحزم وشجاعة عن موقفها من انتهاك حقوق الشعب .

وبعدما حل تلك المجالس ، ظل مدة طويلة يرفض انتخاب غيرها من المجالس التشريعية . وهكذا عاد حق ممارسة السلطة التشريعية إلى الشعب ، بطريقة لا سبيل إلى تغييرها أو ازالتها ... وفي آن واحد ، كانت البلاد معرضة للعدوان الخارجي وللاضطرابات الداخلية .

حال دون ازدياد السكان في ولاياتنا ، بإعاقته تطبيق قوانين منح الجنسية للأجانب ، كما رفض إقرار غيرها من القوانين المشجعة على الهجرة إلى المستعمرات الأمريكية ، وأقام الحواجز والعقبات دون تملك أراضٍ جديدة .

أعاق إحقاق العدالة برفضه الموافقة على قوانين تستهدف توطيد سلطات قضائية .

أخضع القضاة لمشيئته فيما يخص مدة استمرارهم في أعمالهم وتحديد رواتبهم ودفعها لهم .

أحدث عدداً كبيراً من الوظائف الجديدة . وبعث إلى أرضنا جماعات من الضباط ترهق شعبنا وتلتهم خيراته .

أبقى على أراضينا ، في زمن السلم ، جيوشاً دائمة وعاملة ، دون موافقة مجالسنا التشريعية ، لقد أراد أن تكون السلطة العسكرية مستقلة عن السلطة المدنية وفوقها .

انضم إلى آخرين لاخضاعنا لتشريع غريب عن دستورنا ولا تعترف به قوانيننا . مانحاً موافقته على أحكامهم التشريعية التي :

- تخول إقامة عدد كبير من الجنود بين ظهرانينا .
- تدرأ عنهم ، بمحاكمات صورية ، العقوبات على جرائم القتل التي قد يرتكبونها ضد سكان ولاياتنا .
- تسد السبل على تجارتنا في جميع أرجاء العالم .
- تفرض علينا ضرائب بدون موافقتنا .
- تحرمنا في كثير من الحالات ، من ضمانات المحاكمة بطريقة المحلفين .

● تخول نقلنا، عبر البحار، إلى حيث نحاكم من أجل جنح مزعومة.

● تلغي نظام القوانين الانكليزية الحر، في اقليم مجاور، مقيمة فيه حكماً استبدادياً، وموسعة حدوده بطريقة تجعله مثلاً يحتذى، وفي آن واحد، أداة ووسيلة لادخال نظام الحكم الاستبدادي ذاته إلى مستعمراتنا.

● تزيل مواثيقنا، وتلغي أفضل قوانيننا، وتغير أشكال حكوماتنا في مبادئها الأساسية.

● تعطل مجالسنا التشريعية وتتيح لها التصريح بأنها مخولة الحلول محلنا، بدلاً عنا في جميع الأحوال.

وقد تخلى الملك عن الحق في حكمنا، باعلانه أننا خارج نطاق حمايته، واعلانه الحرب علينا. كما أغار على بحارنا واجتاح سواحلنا وأحرق مدننا، ودمر حياة شعبنا.

وها هو الآن يوجه جيوشاً جرارة من المرتزقة الأجانب، ليأتي علينا ويتم عملية الدمار والطغيان بأساليب من القسوة والغدر ما تكاد تبلغها أساليب العصور الهمجية، ولا تليق البتة برئيس دولة متمدن.

لقد اكره مواطنينا المأسورين في عرض البحر على اشهار السلاح ضد بلادهم، وعلى أن يصبحوا جلادي أصدقائهم وإخوتهم، أو أن يسقطوا صرعى تحت ضربات هؤلاء.

لقد أثار فتناً داخلية وبذل قصارى جهده ليستعدي على سكان حدودنا الهنود المتوحشين القساة الذين تقضي شريعة الحرب عندهم بقتل جميع الناس، دونما تمييز في العمر والجنس.

وفي كل مرحلة من مراحل هذا القمع وهذا الجور. طالبنا باحقاق الحق والعدالة، بأكثر التعابير تواضعاً، فلم يكن الرد على مطالبنا والتماساتنا المتكررة، إلا بتكرار الظلم. إن عاهلاً تترسخ فيه هذه الخصال الخلقية التي تميز الطاغية، لا يستطيع أن يزعم لنفسه الحق بحكم شعب حر.

كذلك، لم نتمكن من اثارة انتباه اخوتنا البريطانيين. فقد حذرناهم وبيّنا

لهم ، مرات عديدة ، أن مجلسهم النيابي ، يحاول أن يطبق علينا سلطته التشريعية وقوانينه تطبيقاً غير قانوني .

وذكرناهم بالظروف والمناسبات التي هاجرنا فيها وأقمنا هنا مستعمراتنا . وقد أهبنا بالاحساس الطبيعي بالعدالة ، وبسمو النفس ، اللذين يفترض اتصافهم بهما ، وناشدناهم باسم أواصر القربى التي تربط بيننا ، أن يشجبوا هذه الاعتداءات التي لا بد من أن تؤدي إلى تحطيم الصلات والروابط بيننا . فأصموا اذانهم عن سماع صوت العدالة والقربى الدموية . فواجبنا إذاً أن نرضخ للضرورة ، ونعلن الانفصال . كما علينا أن نعتبرهم ، اعتبارنا سائر شعوب العالم ، أعداء في الحرب وأصدقاء في السلم .

لذلك ، نحن ، ممثلي الولايات المتحدة الأمريكية المجتمعين في مؤتمر (كونغرس) عام ، إذ نشهد الإله الديان على سلامة مقاصدنا ، وباسم شعب هذه المستعمرات الطيب ، وبالنيابة عنه نؤكد ونعلن :

ان هذه المستعمرات المتحدة هي ، ومن واجبها أن تصبح ، ولايات حرة مستقلة . وأنها تحررت من كل ولاء للتاج البريطاني . وان كل صلة بينها وبين دولة بريطانيا العظمى قد فصمت ، وينبغي أن تفصم ، وان هذه الولايات ، بوصفها حرة ومستقلة ، تتمتع بالسلطة المطلقة في اعلان الحرب وإقرار السلم وإبرام المعاهدات والأحلاف وإقامة علاقات تجارية ، والقيام بكل أمر آخر يحق للدولة المستقلة أن تقوم به .

ونحن إذ نتكل على العناية الإلهية كل الإتكال . ودعماً لهذا الإعلان ، نأخذ على أنفسنا العهد بوضع حياتنا وما ملكت ايماننا وشرفنا رهناً في هذا السبيل .

«انتهى الإعلان» (*)

(*) الحلم والتاريخ – كلود جوليان – نقله إلى العربية نخلة كلاس – منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دمشق – ١٩٧٨ ص ٧ – ١٢ .

«قضيتنا شريفة ، انها قضية الإنسانية» .
«يتصرف كل ضابط من الضباط ، وكأنه جنرال ، وليس بينهم من يتصرف تصرف الجندي» .

جورج واشنطن.

الفصل الأوّل

١ — جورج واشنطن .
٢ — موطن الثورة .
٣ — جيش الثورة .
٤ — قادة واشنطن .
٥ — واشنطن وتنظيم الجيش :
(أ) المشاة .
(ب) الفرسان (الخيالة) .
(ج) المدفعية .
(د) المهندسين .
(هـ) الطرائق التعبوية — التكتيكية — .
(و) معركة ساراتوغا .

١ - جورج واشنطن :

خلق ليكون قائداً ، وليحتل مركزه العظيم ، وكان مجرد ظهوره كافياً لبعث الثقة في نفوس المتشككين ، وفرض الاحترام على أكثر الناس عناداً وتمرداً. لقد كانت اخلاقه النبيلة المتشامخة تخيف الكثيرين ، وقد شهد له الأعداء قبل الأصدقاء بكفاءته القيادية العليا . فكتبت صحيفة لندنية : «لا يوجد في أوروبا ملك إلا ويبدو كوصيف إلى جوار واشنطن » . وكان يمتلك أيضاً الظواهر الخارجية التي يحتاجها رجل ولد قائداً : طويل القامة ، ووجه يحمل تقاطيع النبلاء ، وسلوك يتميز بالرقة والوداعة ، مع عذوبة في الحديث وبساطة في التعبير والإيماء . هادئاً أبداً ، وثابتاً عند مقصده ، وصلباً في تحمل المشاق . قام بدوره في حياة شعبه على أكمل وجه . فالتحمت شخصيته بأمته ، واستطاع بذلك تأسيس الولايات المتحدة ، فكان واحداً من عظماء شخصيات التاريخ . حفظ له شعبه على مرّ الأجيال ذكراه محوطة باسمى عواطف الاحترام ، واعتبره «أبا الوطن» . ومما حفظه له مواطنوه قولهم فيه : «كان الأول في الحرب ، والأول في السلم ، والأول في قلوب مواطنيه» . ذلك هو جورج واشنطن الذي ما ذكر ، إلا واقترنت ذكراه بحرب الاستقلال الأمريكية ، وبالجيش الأمريكي الأول .

جاء الجد الأول لجورج واشنطن من انكلترا إلى فرجينيا في أواسط القرن السابع عشر ، فعمل على استصلاح وامتلاك أرض تزيد مساحتها على ستة آلاف فدان من الأراضي الزراعية . أما والد جورج «أوغستين واشنطن» فكان قبطاناً بحرياً ، وكان مميزاً ببنيته القوية ، وقد عاش حياة صحية طبيعية في إدارة مزارعه . وولد جورج يوم ٢٢ شباط «فبراير» ١٧٣٢ بإحدى مزارع والده في مقاطعة «ويستمورلاند»

غير أنه أمضى فترة شبابه في مزرعة أخرى تسمى مزرعة «فيري» تقع على نهر «رابا هانوك». وتوفي «أوغستين» ولم يكن عمر ابنه جورج يتجاوز الثانية عشرة، وكان ابناً له من زواجه الثاني، وقد ترك «اوغستين» أملاكه لأكبر ولديه «اوغستين ولورنس» الأخين غير الشقيقين لجورج، وكان نصيب لورنس من الميراث أراضي زراعية تقع على نهر بوتوماك أطلق عليها اسم «مونت فيرنون».

لم يحصل جورج أثناء طفولته على قدر كبير من التعليم. فقد كان المجتمع الفرجيني لا يعير قدراً كبيراً من الاهتمام للثقافة والتعليم. وكانت القيم السائدة تعتمد على أعمال الفروسية، وركوب الخيل، وإدارة المزارع، ومعرفة الأمور المتعلقة بالحياة الزراعية. وكان جورج منظماً في عمله مجداً فيه، وقد تعلم بنفسه الحساب، وكان يقضي الساعات في الاشراف على إدارة مزارع اخويه. ويدون الحسابات في سجلاتها بخط واضح. كما أظهر تفوقاً في رسم الخرائط، والرسوم التخطيطية، وعندما بلغ السادسة عشرة من عمره، اسندت إليه مهمة القيام بمسح منطقة شاسعة من الأراضي غير المستصلحة يمتلكها اللورد فيرفاكس الذي كان ابن عم لزوجة لورنس. وقد أدى جورج تلك المهمة بنجاح باهر، ولم تمض على ذلك بضع سنوات حتى أصبح المسؤول الرسمي عن المساحة في مقاطعة «كالبيير». واكتسب «جورج» عبر حياته في القفار والفيافي خبرة أخرى كان لها أثرها في مستقبله، وهذه الخبرة هي معرفة الأرض واستخدامها بصورة جيدة في القتال.

ولهذا فقد تم تعيينه برتبة مقدم في جيش «فرجينيا» الاحتياطي — الميليشيا — وأرسل في حملة عسكرية لمحاربة الافرنسيين الذين كانوا يشيدون حصوناً على نهر اوهايو. وكلف الجنرال «برادوك»(*) بمحاربة الافرنسيين سنة ١٧٥٥، فاتخذ من جورج أركان حرب له. وقد تحولت تلك الحملة إلى كارثة قتل فيها الجنرال برادوك. غير ان جورج أبدى شجاعة فائقة أثناء القتال، وما كاد يبلغ الثالثة والعشرين حتى رقي إلى رتبة عقيد واسندت إليه قيادة قوات فرجينيا. وفي تلك الفترة، توفي لورنس واشنطن وترك مزارعه التي في منطقة فيرنون لأخيه جورج. وفي عام ١٧٥٩، تزوج من «مارثا كاستيس» وهي أرملة شابة ثرية، كانت تمتلك

(*) برادوك (BRADDOCK) جنرال تولى قيادة القوات التي حاربت الافرنسيين وقتل في معركة مونونغاهيلا (MONONGAHELA) سنة ١٧٥٥ م.

خمسة عشر ألف فدان من الأرض بالقرب من «ويليامزبيرج» عاصمة ولاية فرجينيا . وقد جعلت منه هذه الثروة ، بالإضافة إلى أملاكه التي وزثها عن أخيه ، واحداً من أغنى رجالات أمريكا . وكان زواج جورج طويل الأمد ، مترعاً بالسعادة ، وان لم ينجب منه الزوجان أطفالاً . غير أن مارثا كان لها طفلان من زواجها الأول . وأمضى جورج واشنطن خمسة عشر عاماً في مونت فيرنون ، يعيش حياة السادة المزارعين . وكان في الوقت ذاته عضواً في برلمان فرجينيا ، الذي كان يعرف باسم «مجلس المدن» . كما كان له نشاطه في المجتمع المحلي . وكانت الزراعة هي هوايته المفضلة . وعرف عنه انه كان على اتصال بالمراسلة مع عدد كبير من المتخصصين في التاريخ الطبيعي في كل أنحاء العالم . كما كان يعد من أول المزارعين العلميين . وكان يؤمن بالدورة الزراعية للمحاصيل ، الأمر الذي لم يكن معهوداً آنذاك .

تلك هي لمحات من حياة ذلك الرجل الذي توجه سنة ١٧٧٤ لحضور الكونغرس «المؤتمر» الأول في فيلادلفيا . وليحضر المؤتمر الثاني في السنة التالية ، فيتولى على اثره قيادة قوات بلاده . فكيف كانت تلك البلاد ؟ وما هو الموقف الذي أدى إلى الحرب – حرب الاستقلال – ؟ .

٢ – موطن الثورة :

يعود تاريخ أمريكا الرسمي إلى رحلة البحار «كريستوفر كولومبوس» الذي وقع بصره حوالى الساعة الثالثة من صباح اليوم الثاني عشر من تشرين الأول – أكتوبر – ١٤٩٢ على أرض يابسة اعتقد لأول وهلة أنها جزائر الهند . وكانت واحدة من أعظم لحظات التاريخ . فقد ايقن الأوروبيون للمرة الأولى أن المحيط الأطلسي ليس نهاية العالم . وأن ثمة أرضاً على الجانب الآخر . لكنه ما زال أمامهم وقت طويل ليدركوا أن هناك قارة جديدة بأكملها . وقد ظنوا في بادئ الأمر أن الأرض الجديدة هي جزائر الهند أو ربما كانت الصين أو اليابان . إذ كانت كنوز الشرق الهائلة هي التي أغرت المكتشفين الأوائل بالانطلاق لكشف العالم . ولقد ظلت الأراضي الجديدة حقبة من الزمان تعد ملكاً لاسبانيا والبرتغال . ولكن دولاً اخرى اعلنت فيما بعد حقها فيها . وبعد كولومبوس بحوالى مائة سنة ، بدأ أول انكليزي الاستيطان في أمريكا .

وتذكر المصادر التاريخية أن السير «والتر رالي» هو أول من فكر من الانكليز بإقامة مستعمرات خارج البلاد، فشرع مع أخيه - غير الشقيق «السير همفري جيلبرت» لكن المخاطر والمصاعب كانت عظيمة جداً، ومن ثم كان عليهما أن يصرفا النظر عن المحاولة. ولقد حاول مرة أخرى فيما بعد نفس المحاولة في فرجينيا، لكنه أخفق فيها أيضاً. ومضت بعد ذلك فترة امتدت حتى عشرين سنة لم يجرؤ فيها أحد على إعادة المحاولة. وما لبث أن وصلت بعدها إلى فرجينيا جماعة من المستعمرين عام ١٦٠٧ أسسوا مستعمرة «جيمس تاون»[1]. وكان على هؤلاء المستوطنين الأوائل مجابهة كثير من المصاعب، حيث كانت الأرض مستنقعاً موحلاً تنتشر فيه الأوبئة. وكان المناخ قاسياً، إلى جانب التهديد الدائم بالخطر من قبل السكان الأصليين للبلاد والذين أطلق عليهم خطأ اسم «الهنود». ومر الوقت ولم يكن المستوطنون يستطيعون فيه قنصاً أو صيداً للسمك بسبب ضعفهم الكبير، غير أن دماً جديداً تدفق في عروقهم مستمداً من شجاعة قائدهم «الكابتن جون سميث»(*) ثم ما لبثت أن تحسنت العلاقة بينهم وبين الهنود الحمر، عندما تزوج واحد منهم الأميرة «بوكاهونتاس». كذلك وصلت من انكلترا في الوقت المناسب، بعثة امداد ونجدة أنقذت المستعمرة. وبدأ المستوطنون في البحث عن المواد الأولية التي يمكن تصديرها لوطنهم. ولم يكن هناك ثمة دليل يشير إلى وجود الذهب أو الأحجار الكريمة. وبعد مضي عدة أعوام. عثر المستوطنون على نبات ينمو بغزارة. والناس في بلادهم شغوفون بشرائه، ذلك هو التبغ. ومنذ ذلك الحين أصبحت المستعمرة في مأمن من الفقر، وأصبح ازدهارها محققاً. وكانت التجارة هي الهدف الأساسي من إقامة مستعمرة «فرجينيا»[2]، أما

---

(١) جيمس تاون: (JAMES TOWN). مستوطنة تنسب إلى ملك انكلترا جيمس الأول: (JACQUES 1) وهو ابن ماري الأولى - من آل ستيوارت - ولد في ادنبرة سنة ١٥٦٦ وأصبح ملكاً لايقوسيا سنة ١٥٦٧ ثم ملكاً على بريطانيا العظمى (١٦٠٣ - ١٦٢٥) تميز بممارسة سلطاته الدينية، واضطهاده للمنحرفين عن الكنيسة،، مما ساعد على الفرار من انكلترا نحو أمريكا.

(*) الكابتن جون سميث: CAPTAIN JOHN SMITH

(٢) فرجينيا: (VIRGINIE). احدى الولايات الأمريكية وأقدمها على المحيط الأطلسي، عاصمتها ريتشموند (RICHMOND). وسميت فرجينيا على اسم الملكة اليزابيت (الملكة العذراء حيث تعني فيرجين بالانكليزية العذراء). والملكة اليزابيت هذه ولدت في غرينويتش، ابنة =

المستوطنون الذين جاءوا بعد ذلك ؛ فقد وفدوا على أمريكا قاصدين هدفاً جد مختلف ، فقد قدموا اليها لأنهم كانوا يرغبون في الهرب من انكلترا وما بها من اضطهاد ديني ، ليصبحوا أحراراً يمارسون عباداتهم بطرائقهم الخاصة . وتفصيل ذلك أنه سادت انكلترا في تلك الفترة صراعات ضارية بسبب الدين . وكان هناك العديد من الناس الذين اطلق عليهم اسم «المتطهرين أو البوريتان»[٣] . وكانوا متزمتين لا يميلون إلى الكنيسة الانكليزية ، ويرغبون في إقامة كنيسة خاصة بهم . لكن ذلك كان محظوراً عليهم . ولذلك فكر فريق منهم في الرحيل إلى خارج البلاد . وذهبوا أول الأمر إلى هولندا ، وهناك فشلوا . ثم عادوا فطلبوا من ملك انكلترا – جيمس الأول – السماح لهم باستيطان أمريكا ، فسمح لهم الملك بالرحيل إلى هناك ، مخالفاً بذلك ما كان يصنعه ملوك اسبانيا وفرنسا باللاجئين الدينيين في مستعمراتهم . وكان ذلك الأمر على جانب كبير من الأهمية ، فهو يعني أن الآلاف من الانكليز هاجروا إلى أمريكا خلال المائة عام التالية . ولم يكن هؤلاء قوماً من المغامرين الطائشين أو الباحثين عن الثروة . وإنما كانوا قوماً يتميزون باستقامتهم والتزامهم بالقيم الدينية والفضائل الأخلاقية ، رجالهم ونساؤهم على السواء . وأول من هاجر منهم ممن عرفوا (بالآباء المهاجرين) غادروا انكلترا سنة ١٦٢٠ ، بهدف الرحيل إلى فرجينيا ، لكنهم ضلوا طريقهم ، ورسوا شمالها عند «نيوبلايموث» . وكان عليهم ، مثل مستوطني «جيمستاون» ، أن يعانوا المشاق الهائلة ، حتى لقد قضى نصفهم نحبه تقريباً في أول شتاء . لكنهم استمروا بعزم لا يلين ، ومن ثم كتب للمستعمرة «بلايموث» البقاء . ولم تمض عشرة أعوام حتى انشئت مستعمرة أخرى حملت اسم «ماساتشوستيس» . وكانت تسودها الشريعة التطهرية بصرامة . وفي سنة ١٦٩١ اندمجت بلايموث وماساتشوستيس . لكن التطهريين سرعان ما وجدوا أنهم مختلفون مع بعضهم بعضاً اختلافاً يكاد يعادل مقدار الاختلاف الذي كان بينهم ذات يوم وبين الكنيسة في انكلترا . فرحل بعضهم ليقيم مستعمرتي «رود ايلاند» و«كونيكتيكوت» وفي الوقت

= هنري الثامن وآن بولين وعاشت من سنة ١٥٣٣ حتى سنة ١٦٠٣ . اشتهرت بالحزم والتعصب الديني وحماية العلماء والأدباء والفنانين.

(٣) البوريتان : (PURITAN) أو المتطهرون ، جماعة بروتستانتية اشتهرت في انكلترا ونيوانجلند في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وتميزت بمطالبها لتبسيط طقوس العبادات والتمسك بجوهر الدين ، والالتزام بالفضائل الأخلاقية . وأصبحت كلمة «بوريتاني» تعني المتزمّت .

ذاته تقريباً انشئت مستعمرة «ماريلاند»[٤] لصالح مذهب الرومان الكاثوليك . وبعد ذلك وفي العام ١٦٨١ . أنشئت مستعمرة «بنسلفانيا» من أجل معتنقي مذهب «الكويكرز» . وفي عام ١٧٣٣ كانت ثمة ١٣ مستعمرة انكليزية في امريكا يسكنها حوالى مليون نسمة .

لم تكن انكلترا هي الدولة الوحيدة التي اقامت مستعمرات لها في أمريكا الشمالية . ففي عام ١٦٠٩ ، نزل بعض التجار الهولانديين على شاطئ جزيرة «مانهاتن» . واقاموا مستعمرة «نيو امستردام» وبعد ذلك استولى عليها الانكليز وغيروا اسمها إلى «نيويورك»[٥] . وتركز نشاط فرنسا في شمال كندا ، غير أن الافرنسيين كانوا على نقيض الانكليز ، إذ أنهم لم يفدوا إلى أمريكا للاستيطان ، بل للاكتشاف وللحصول على الفراء ، والتبشير بالمسيحية بين الهنود . وما زال حتى اليوم بعض الكنديين يتحدثون اللغة الافرنسية . وكان بعض كبار المكتشفين في أمريكا من الافرنسيين . ففي سنة ١٥٣٤ اكتشف «جاك كارتييه» مصب نهر سانت لورنس . وفي سنة ١٦٨٢ . جهز الفارس دولاسال حملة للابحار في المسيسبي حتى خليج المكسيك . واستمرت بعد ذلك الهجرة عبر الأطلسي . وما أن حان منتصف القرن الثامن عشر حتى كان ساحل الاطلسي هو أكثر أجزاء أمريكا ازدحاماً بالسكان . وكان عدد هؤلاء قد بلغ مليون ونصف ثلاثة أرباعهم من الانكليز . وشهدت المستعمرات الثلاث عشرة ازدهاراً كبيراً . وتوطد بنيانها وحظيت بقدر وافر من الحكم الذاتي ، بالرغم من انها ما زالت تحت سيطرة انكلترا .

اعتلى جورج الثالث عرش بريطانيا العظمى سنة ١٧٦٠ . وسرعان ما ثارت المتاعب مع أمريكا بعد ارتقائه العرش ، إذ كان الملك مصراً على أن يتحمل

---

(٤) ماريلاند : (MARYLAND) (أرض ماري) نسبة إلى هنريتا ماريا (زوجة شارل الأول) (CHARLES I) ملك بريطانيا العظمى وابن جيمس الأول من عائلة ستيوارت (١٦٠٠ – ١٦٤٩) أصبح ملكاً سنة ١٦٢٥ . وكان لزوجته الافرنسية هنريتا (HENRIETTE) تأثير كبير عليه . فدفعته نحو الاستبداد الأمر الذي أدى إلى ثورة كروموبل ، واعتقال شارل واعدامه في «الوايت هول»

(٥) نيويورك : (NEW YORK) ، احتلت مكان «نيو أمستردام» (AMSTERDAM NEW) وسميت باسم نيويورك نسبة للملك جيمس الثاني الذي كان دوق يورك (JACQUES II) وهو ابن شارل الأول ، عاش في الفترة (١٦٣٣ – ١٧٠١) وأصبح ملكاً على انكلترا سنة (١٦٨٥) .

المستوطنون بعض النفقات الباهظة الناجمة عن حرب السبع سنوات والتي انتهت سنة ١٧٦٣ . ولم يكن ذلك منافياً للمنطق ، لأن انكلترا أمدت المستعمرات بمعظم الرجال والمال للدفاع عنها في الصراع ضد الافرنسيين في أمريكا . ولقد اسفرت الحرب عن اكتساب انكلترا مقاطعات جديدة شاسعة في أمريكا . هي في الواقع شمال القارة الأمريكية كله ، شرق المسيسبي ، وشمالاً حتى منطقة القطب الشمالي .

وبرزت عندئذ قضية شائكة تتعلق بمسؤولية ارتياد البقاع الجديدة ، وهل ستقوم انكلترا بذلك أم سيقوم المستوطنون بذلك؟ ثم هل يجب على المستوطنين احتمال المزيد من الضرائب لمشاركة انكلترا في إدارة المستعمرات والدفاع عنها؟ ولم يترك الملك «جورج الثالث»(٦) القضية معلقة ، فأصدر في سنة ١٧٦٣ مرسوماً ملكياً يحرم على المستوطنين شراء الأرض في المقاطعات الجديدة ، وصدر قرار بفرض ضريبة على صادرات المستعمرات من السكر . وبالرغم من أنه كان على «جورج الثالث» أن يتحمل الكثير من مسؤولية تدهور الموقف مع المستعمرات الأمريكية ، إلا أنه من السهل إدراك حوافزه وفهم موقفه ، فقد كانت لدى انكلترا مشكلة كبيرة في إدارة الاضافات الجديدة لامبراطوريتها ، وتأمين الحماية لها ضد تدخل الافرنسيين واحتمال ثورة الهنود في أي وقت . وكان لزاماً على انكلترا أن تمد هذا العالم الجديد بالمزيد من القوات ،وبالمال ، وكان من الطبيعي أن تقوم المستعمرات بحمل نصيبها من هذه الأعباء والنفقات. وفي العام ١٧٦٥ . أقر المجلس النيابي البريطاني «قانون الطابع – أو الدّمغة »(*) . وهذا يعني أن على الأمريكيين أن يدفعوا المكوس على كل شيء من الوثائق القانونية إلى الصحف . وأثار هذا القرار عاصفة عاتية ، لاضد الضريبة ذاتها ، وإنما ضد مبدأ فرض الضريبة ، ورفعت الولايات الأمريكية شعار : «لا ضرائب بدون تمثيل نيابي في كل المستعمرات» . معارضة حق المجلس النيابي البريطاني في فرض الضرائب على المستعمرات ، ما دام لا يوجد لها من يمثلها في «وستمنستر»(**) فألغي القانون . وهكذا لم يتبق من المكوس سوى ضريبة ضئيلة

---

(٦) جورج الثالث : (GEORGE'S III) من مواليد لندن (١٧٣٨ – ١٨٢٠) أصبح ملكاً على انكلترا سنة ١٧٦٠ ، أضاع المستعمرات الانكليزية في أمريكا ، وقاد الصراع ضد الثورة الافرنسية .

(*) قانون الدّفعة : (STAMP ACT) .

(**) وستمنستر : (WESTMINISTER) .

جداً على الشاي ، تم الابقاء عليها حتى يبدو المجلس النيابي البريطاني محتفظاً بحقه في فرض الضرائب على المستعمرات .

تحسنت العلاقات بين انكلترا ومستعمراتها الأمريكية تحسناً كبيراً في سنة ١٧٧٠ ، ولم تبق غير منطقة واحدة في حالة من الاضطراب المستمر ، هي منطقة « بوسطن » حيث كان « صاموئيل أدامز »[٧] يدبر المؤامرات بعزم لا يلين للانفصال عن انكلترا . وفي العام ١٧٧٣ ، ارتكب رئيس وزراء جورج الثالث « اللورد نورث » خطأً فاحشاً : بأن استصدر قانوناً يمنح شركة « الهند الشرقية » حق احتكار بيع الشاي في أمريكا ، مما أدى إلى نشوء « حزب الشاي » في بوسطن . حيث ارتدى بعض المستوطنين زي الهنود الحمر ، وألقوا حمولات السفن الانكليزية من الشاي في ميناء « بوسطن » . فأغلق الانكليز الميناء ، وأعلنت الأحكام العرفية في « ماساتشوستيس » . وفي أيلول « سبتمبر » عام ١٧٧٤ ، عقدت مجالس المستعمرات مؤتمراً « كونغرس » في فيلادلفيا ، حيث أعلن المؤتمر « نداء الحقوق والمظالم » محتجاً على النهج الذي سلكته انكلترا في معاملة المستعمرات . وقرر المؤتمر أيضاً مقاطعة السلع البريطانية حتى ترفع المظالم . لكن لندن رفضت التسوية . كما رفضت المطالب بازدراء . وأصدرت الحكومة البريطانية أوامرها باقلاع قوات أكثر عدداً لأمريكا ، والقى الجنرال الانكليزي حاكم بوسطن القبض على صموئيل أدامز ، وأرسل حملة للاستيلاء على ذخيرة الثوار . لكن « بول ريفير » طاف الريف محذراً . وعندما بلغت الحملة « ليكسنجتون » عام ١٧٧٥ . هاجمها المستوطنون . وفي شهر آب « أغسطس » أعلن جورج الثالث أن الأمريكيين متمردون . وفي الرابع من تموز « يوليو » عام ١٧٧٦ ، أصدر المؤتمر اعلان الاستقلال الشهير . ولقد أعدت هذه الوثيقة لجنة من خمسة أعضاء ، ضمت « توماس جفرسون »[٨] و « جون أدامز »[٩] و « بنجامين

---

(٧) صاموئيل أدامز : (ADAMS SAMUEL) رجل سياسي في بوسطن (١٧٢٢ – ١٨٠٣) أحد صانعي ثورة الولايات المتحدة الأمريكية.

(٨) توماس جفرسون (THOMAS JEFFERSON) . ثالث رئيس للولايات المتحدة الأمريكية (١٧٤٣ – ١٨٢٦) وهو واحد من مؤسسي الحزب الديموقراطي.

(٩) جون آدامز : (JOHN ADAMS) ، رجل سياسي أمريكي (١٧٣٥ – ١٨٢٦) وهو ثاني رئيس للولايات المتحدة الأمريكية ، انتخب سنة ١٧٩٧ . وأصبح ابنه « جون كوينسي » : (JOHN QUINCY) ، من مواليد كوينسي (١٧٦٧ – ١٨٤٨) سادس رئيس للولايات المتحدة الأمريكية .

فرانكلين»[١٠] بالإضافة إلى «جورج واشنطن» وتجدر الإشارة إلى أن الرغبة في الاستقلال انبثقت عن الحرب وليس العكس . ففي بادئ الأمر لم يكن ثمة عدد كبير من دعاة الاستقلال . ولكن ما أن مضت المستعمرات بإدارة شؤونها الخاصة في جبهة متحدة ضد البريطانيين ، حتى تعاظمت الحماسة للاستقلال . وكانت هذه الحماسة مقترنة بالرغبة في الوحدة مع المستعمرات الأخرى . وفي العاشر من كانون الثاني «يناير» عام ١٧٧٦ أعلنت صحيفة «كومون سنيس»(*) ما يلي : «لقد حان الوقت لغرس بذرة الوحدة ما بين المستعمرات الأمريكية ، إيماناً وشرفاً» . وبدأ انحلال السلطة البريطانية واضحاً في كل مكان .

وكان الموظفون البريطانيون الرسميون والقادة العسكريون يلوذون بالفرار من الثوار . وبدأت المستعمرات تقيم لنفسها حكومات مستقلة ، وأخيراً ، وفي الثاني من تموز – يوليو – ١٧٧٦ ، وافق المؤتمر (الكونغرس) على قرار في صالح الاستقلال . ولقد برز جوهر هذا القرار في اعلان الاستقلال الشهير في الرابع من تموز – يوليو – الذي أعلن أن كل الناس قد ولدوا سواسية ، وأنهم خلقوا ولهم حقوق معينة ليس في مقدور أية حكومة أن تنتزعها منهم . وكان واجب الحكومة حماية حقوقهم ، فإذا ما فشلت كان من حق الشعب تغييرها أو إقالتها . ولقد أعلن الأمريكيون ما هو أكثر من استقلالهم . إذ رفعوا مبادئ الحكم وحقوق الإنسان – التي أخذتها عنهم فيما بعد الثورة الافرنسية – . وكان لا بد للأمريكيين من الحاق الهزيمة بانكلترا حتى يضعوا مبادئهم موضع التنفيذ . وبدأ الصراع بالتطور المستمر ، لا على الساحة الأمريكية فقط ، حيث أخذ المتطوعون بالانضمام إلى الثورة من كل أنحاء أوروبا أمثال «**المركيز لافاييت الافرنسي والبولوني بولاسكي والبارون الالماني فون شتيوبن**» بل في أوروبا

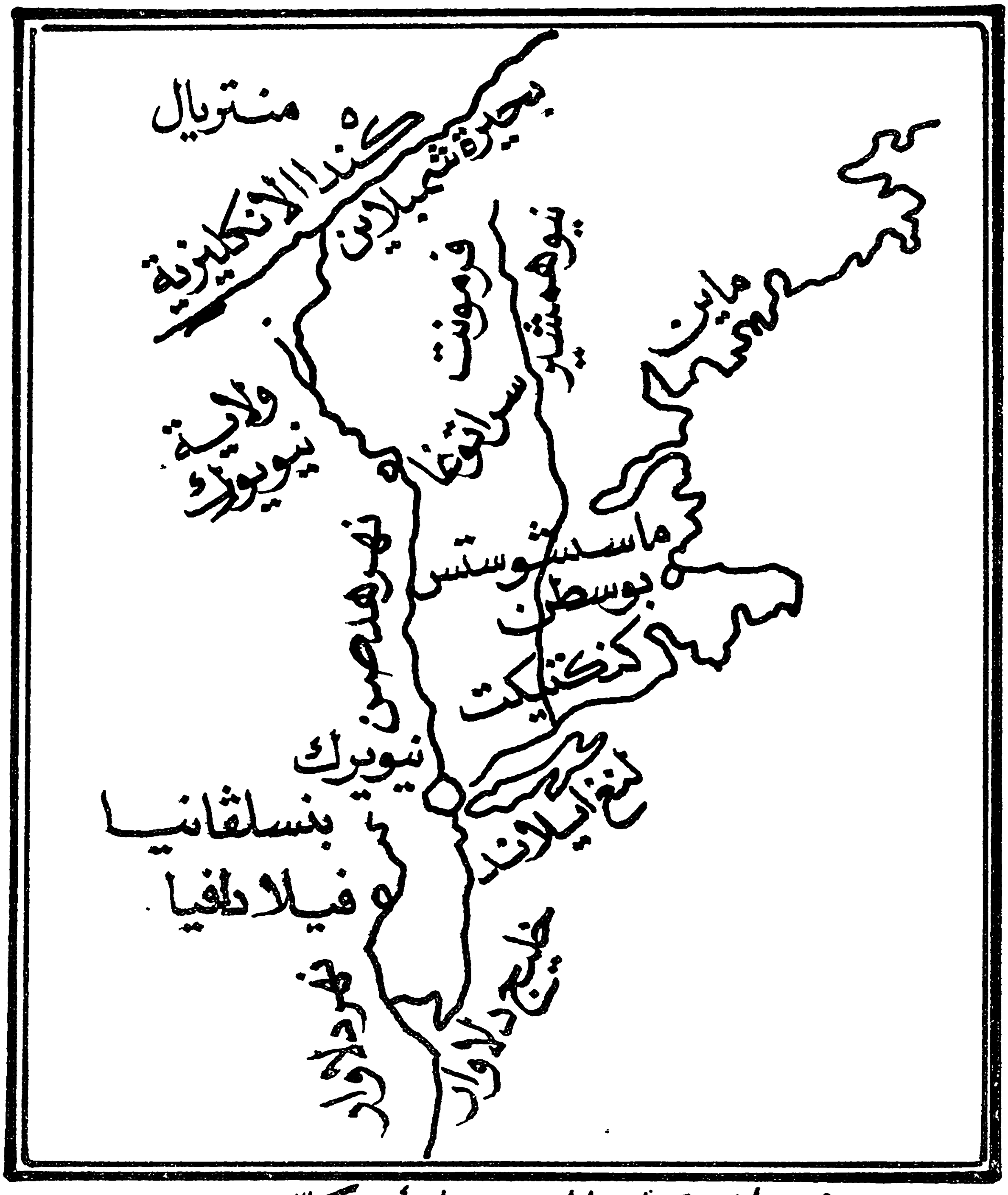
---

(١٠) بنجامين فرانكلين : (FRANKLIN – BENJAMIN) من كبار قادة أمريكا (١٧٠٦ – ١٧٩٠) نشر كتابه – مذكرات ريتشارد المسكين – دون أن يكتب عليه اسمه. ورحل إلى انكلترا طوال الفترة (١٧٦٤ حتى ١٧٧٥) بهدف عرض شكاوى مواطنيه على الحكومة البريطانية وأصبح أثناء حرب الاستقلال سفيراً لبلاده في فرنسا. ونجح في اقناع فرنسا بخوض الحرب إلى جانب أمريكا.

(*) صحيفة كومون سنيس – أو الاحساس المشترك : (COMMON SENSE) وكان يديرها توماس بين : (THOMAS PAINE).

ذاتها حيث أخذت فرنسا واسبانيا بخوض الحرب ضد انكلترا ، بالإضافة إلى هولاندا . وبذلك أمكن الاستمرار في الصراع المرير لمدة خمسة أعوام . حتى إذا ما أقبل صيف سنة ١٧٨١ ، واحرز الأمريكيون انتصاراتهم الحاسمة في «يورك تاون» . أخذ الانكليز في اظهار رغبتهم بإيقاف القتال . ولئن كانت مفاوضات السلام قد ارجئت ، إلا أن الصلح تم توقيعه في الثالث من أيلول –سبتمبر– ١٧٨٣ :

واعترف جورج الثالث باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية . وهكذا برزت إلى الوجود دولة جديدة في السياسة العالمية . ولقد أسس الشعب الأمريكي حكومة تعتمد على المبادئ الديموقراطية لإعلان الاستقلال . كما أرسى قواعد مسبقة ، تمتد نتائجها بعيداً في المستقبل . وأصبح لزاماً على الدولة الجديدة ، بحلول عام ١٧٨٧ ، ان تهتدي إلى طريقة تناسبها للحكم . وفي فيلادلفيا وضع «مؤتمر الدستور» الإطار العام لوثيقة جديدة تحدد سلطات الحكومة المركزية . وفي سنة ١٧٨٩ ، أقر هذا الدستور الجديد الذي يعتمد على أساس الفصل بين السلطات القضائية والتشريعية والتنفيذية . وتقوم بالسلطة التشريعية هيئة مجلسي النواب والشيوخ . حيث يضم مجلس النواب عدداً من نواب كل ولاية بما يتناسب مع عدد مواطني هذه الولاية ، أما مجلس الشيوخ فيضم عضوين عن كل ولاية ، مهما بلغ عدد مواطني هذه الولاية . وأما السلطة التنفيذية فتعمل تحت رئاسة الرئيس المنتخب لأربع سنوات . وتمثل محكمة العدل العليا السلطة القضائية النهائية . وقد تم انتخاب «جورج واشنطن» كأول رئيس –على أساس هذا الدستور– وذلك في سنة ١٧٨٩ .



خريطة ميدان الحرب الأميركيّة

٣ – جيش الثورة :

بدأت الثورة الأمريكية باشتباكين ثانويين في «ليكسينغتون» و «كونكورد» يوم ١٩ نيسان – أبريل – ١٧٧٥ ، وعلى أثر ذلك تجمعت الكتلة الرئيسية لقوات الطرفين المتصارعين الانكليزي – الأمريكي في منطقة بوسطن .

ومن المحتمل أن يكون عدد المسلحين من الأمريكيين قد وصل إلى (١٥) ألف مقاتل ، يقابلهم (٣٥٠٠) جندي من القوات الإنكليزية .

حدثت بعد ذلك معركة «بانكرهيل» يوم ١٧ حزيران (يونيو) ١٧٧٥ . والتي انتصر فيها الانكليز ، إلا أنهم على الرغم من ذلك انسحبوا من بوسطن على أثر معركتهم الدامية . وشهد الصراع فترة من الهدوء النسبي لم يعكرها إلا بعض الاشتباك بين الدوريات ، وبعض التراشق بنيران المدفعية ، ما بين فترة وأخرى .

وعندما اجتمع المؤتمر الاقليمي الثاني «الكونغرس» . لم يكن هناك من يتوقع حدوث انفصال كامل عن بريطانيا . وهناك بعض الوحدات التي تم تنظيمها في «رود ايسلاندر» على سبيل المثال ، باسم «الخدمة لصاحبة الجلالة» وكان يتم دفع رواتب المتطوعين من «رودايسلاندر» تحت شعار المحافظة على حريات أمريكا . غير أن مسيرة الأحداث جاءت لتدعم من قدرة المتطرفين «الراديكاليين» الذين عملوا على تبني نموذج «جيش بوسطن» وصمموا على الاضطلاع بأمور هذا الجيش وتأمين امداده وتنظيمه ودفع رواتبه .

كان ذلك هو الموقف عندما تولى جورج واشنطن قيادة الجنود الذين كانوا جميعاً من الميليشيا القديمة ، والذين تم تطويعهم في مناسبات مختلفة وظروف متباينة ، غير ان معظمهم كانوا يتمتعون بروح معنوية مرتفعة .

كان بعضهم يقيم في الخيام ، وبعضهم في أكواخ خشبية ، وآخرون في منازل خاصة ، بالإضافة إلى أولئك الذين استقروا في مهاجع جامعة «هارفارد» . وكان لدى هؤلاء بعض المدافع مع سدنتها ، غير أنه لم يكن هناك مهندسون مدربون . وقد رأى واشنطن في هذه القوة شيئاً وحيداً ، وهو انها تمثل الثورة بقدر ما يمكن له تنظيمها للعمل كقوة واحدة في جيش نظامي . ولقد عملت هذه القوة على تحدي السلطة

البريطانية ، فبات من المتوقع أن يعمل الجيش البريطاني على البحث عنها وتدميرها بأي ثمن .

وللبدء بجيش واشنطن ومعالجة مشكلاته ، كان لا بد من الأخذ بعين الاعتبار موقف رجاله الذين ارتد بعضهم إلى العمل في المزارع ، في حين انصرف البعض منهم للعمل في صناعة الثياب ، حيث كانت الأكثرية ترتدي نماذج مختلفة من الألبسة مع خليط من ثياب الميليشيا القديمة ، تزينها أحزمة الوسط الحاملة للذخائر وحمائل السيوف. وكان الأسلوب العملي لتمييز جنود هذا الجيش عن الجيش الانكليزي هو في لجوء هؤلاء إلى وضع غصن من الغار على قبعاتهم في النهار. وفي وضع قطع من الورق الأبيض عليها في الليل. وكان يتم تجهيز الكتيبة أحياناً بالثياب الغسكرية التي يتقبلها الجميع بصورة عامة. والتي تحمل الطابع العسكري لتلك الفترة. غير انهم كانوا يمزجون ألوان الألبسة على هواهم. وبقيت قمصان الصيد الصوفية والتي يصنع ظهرها من الصوف أو جلود الحيوانات. وهي طويلة (بشكل الكنزة) تمثل أكثر ثياب الميدان العملية والمرغوبة من قبل جند الثورة الأمريكيين.

كان أفضل الرجال ممن اجتذبتهم الثورة ، هم من المقاتلين الموسميين أو الفصليين ، في معظم الأحيان ، وقد اكتسبوا خبراتهم القتالية عبر صراعهم مع الهنود ، سواء في استخدام الاخفاء والتمويه أو في التحرك الليلي أو في اطلاق نيرانهم الفردية بدقة كبيرة لإصابة الهدف . وتعلموا من هذا النوع من القتال أن لا رحمة في الحرب ولا شفقة . وكانت قيود الحرب التي عرفتها العسكرية الأوروبية – في تلك الفترة – من الأمور التي تجاهلها المقاتل الأمريكي واعتبرها نوعاً من الحماقة ، فكل وسيلة لكسب النصر هي وسيلة شرعية ، لأن الحرب بالنسبة له ليست العوبة أو مجرد منافسة يمكن كسبها بعدّ النقاط ، **وإنما هي صراع من أجل الحياة أو الموت** . ونتيجة لذلك ، كان المقاتل الأمريكي فوق أرض المعركة مقاتلاً فردياً ، أكثر عدوانية من خصمه ، يمارس القتل كما لو كان صياداً يصطاد فريسته . غير أنه كان في الوقت ذاته عاجزاً عن العمل ، كتفاً إلى كتف ، مع رفيقه الذي يتدرب إلى جانبه ، أو التحرك بهدوء وفقاً لما تنص عليه تعليمات التمرين والنظام المنضم : تنكب سلاحك ، قدم سلاحك ، جهز سلاحك للرمي ، نار . فكان الجنود الأمريكيون يتقدمون للأمام كأفراد لا كمجموعة واحدة . ويميلون إلى التراجع والانسحاب بالطريقة ذاتها . تماماً كما يفعل الهنود ، ودون أي احساس بالخجل من مثل هذا

الانسحاب الذي كان يتحول أحياناً إلى تظاهرة غوغائية . وكان القتال من منظور رجل الميليشيا عملاً موسمياً أو فصلياً ، تماماً كما كان لدى الانكلو – ساكسون في العهود الغابرة . فيمضي رجل الميليشيا إلى منزله لممارسة الزراعة أو القيام بجني المحصول أو العمل في التجارة ، ويعود بعد ذلك ليقاتل عندما يصبح القتال أمراً لابد منه . ولم يكن هناك مفهوم واضح للانضباط بمثل ما كان يعرفه رجل الجيش البريطاني . وكانت العقوبات وأحكام المحاكم العرفية نادرة جداً . كما كان الفرار من الجيش أو التغيب عن الحضور من الأمور المألوفة جداً . وكان يتم اختيار الضباط من قبل جنودهم ، فكان هؤلاء الضباط بالمقابل يتعاملون مع جنودهم بأخوة وحرية تامة . وكان بعضهم ، وليس كلهم ، قد مارس أعمال القيادة واكتسب خبرتها سواء خلال قيادة وحدات الميليشيا بالجيش ، أو أثناء الحملات في حرب السبع سنوات التي انتهت منذ عهد قريب في أوروبا .

كان يجب حل هذا «الخليط المتعدد الأشكال من الناس» كما وصفه جورج واشنطن ذاته في ٣١ كانون الأول – ديسمبر– سنة ١٧٧٥ ، حيث أصبح واجبه الرئيسي هو تشكيل جيش الولايات تحت إشراف المؤتمر «الكونغرس» وعلى انقاض القوات الأصلية التي نظمتها الولايات كل بمعزل عن الأخرى .

وكان على واشنطن العمل بعد تنظيم الوحدات ، من أجل تدريبها ، على عزل الضباط غير الأكفاء وتعيين من يحل محلهم ، وفرض الانضباط واحكام قواعده وإقامة جهاز يشرف على النظام اليومي وعلى التدريب الذي يضطلع به القادة . كما كان عليه تنظيم الامداد والتموين ، وتأمين متطلبات القوات . وكان ذلك كله يشكل عبئاً ثقيلاً ، على الرغم من أن حجم الجيش كان صغيراً ، ومحدود المتطلبات نسبياً . وكان من حسن حظ واشنطن بقاء النشاط البريطاني في حالة من العطالة والجمود ، مما أتاح له الحصول على أكثر ما كان في حاجة إليه – وهو عامل الوقت – هذا وقد تناقصت الأربعون كتيبة ، ذات القوى المختلفة في عددها ، حتى ٢٨ كتيبة ، تتكون كل كتيبة فيها من (٨) سرايا ، تضم السرية الواحدة (٩٠) مقاتلاً . ولما كان معظم الضباط من غير الاكفاء ، واشتهر بعضهم بالكسل وبعضهم بالتهور ، فقد تم تسريحهم جميعاً ، وابدالهم بضباط يتم تعيينهم من قبل القيادة العليا . وبدأ بتجنيد المجندين لمدة سنة واحدة ، وكان على المجند تجهيز نفسه بسلاحه الفردي (البارودة) في حين اضطلعت الكتيبة بدفع الراتب وتقديم الثياب والطعام لهؤلاء المجندين . وبدأ جيش الولايات الموحد بالظهور ، غير أن قوته لم تتجاوز (١٠) آلاف مقاتل ،

وهو ما يعادل نصف القوة التي كان واشنطن يأمل في تجنيدها . فكان لا بد من الاستمرار في الاعتماد على «جيش الميليشيا» في كل ولاية من الولايات بهدف سد النقص – أو العجز – غير أن ذلك لم يضمن دعمه بأكثر من (٧) آلاف مقاتل . وبهذا الجيش تولى واشنطن مجابهة الجيش الانكليزي ، وكان يساعده بعض المعاونين من القادة الألمان والامريكيين .

تركز الجهد العسكري الرئيسي في سنة ١٧٧٦ على الولايات الشمالية وكندا ، حيث تولى واشنطن بنفسه قيادة جيشه ضد الجنرال الإنكليزي «ويليم هاو»(*) . واستعاد الأمريكيون سيطرتهم على «بوسطن» التي انسحبت منها القوات الإنكليزية في ١٧ آذار (مارس) ، واحتفظت بمعظم مناطق الجنوب باستثناء «بينساكولا» ثم فقدت القوات الأمريكية نيويورك في شهر آب – أغسطس – ومعظم أجزاء أو نواحي «نيوجرسي» وأصبحت مرغمة على الجلاء عن كندا بعد هجوم اجهاضي فاشل على «كويبك» يوم ٣١ كانون الأول – ديسمبر – ١٧٧٥ . وفي منتصف شهر كانون الأول ، أصبح واشنطن مرغماً على التراجع عبر «ديلاوار» وقد تناقص جيشه إلى أقل من خمسة آلاف مقاتل ، واضطر المؤتمر (الكونغرس) إلى الانتقال من فيلادلفيا إلى بلتيمور . غير أن السنة انتهت بعملية ناجحة أمكن لها رفع الروح المعنوية ، حيث قام واشنطن بمباغتة «الهسيان» في «ترنتون» واحرز انتصاراً رائعاً تم تتويجه بالحصول على ألف أسير علاوة على كمية كبيرة من الغنائم . ولم تتجاوز خسائر الأمريكيين (٧) اصابات .

شهدت السنة التالية انقلاباً في الموقف حيث بدأ واشنطن حملته في شهر أيار (مايو) بمحاولة لايقاف تقدم القوات البريطانية على «فيلادلفيا» . وامكن له في البداية التحرك بذكاء لتجنب أي معركة تشتيتية . غير أن القائد الانكليزي – الجنرال هوا – أرغمه على التحرك إلى «براندیوین» في ١١ – أيلول – سبتمبر . ومن ثم فقد حرمه من حرية المناورة ، والحق به الهزيمة ، وأصبحت القوات الانكليزية بذلك هي المسيطرة على فيلادلفيا منذ يوم ٢٦ أيلول – سبتمبر – . وكان هذا الانتصار الانكليزي مجرد تظاهرة قوة لا أكثر . واحتفظ جيش واشنطن بكامل قوته . كما أن سيطرة القوات الانكليزية على فيلادلفيا لم تترك أي أثر معنوي في نفوس الأمريكيين .

(*) GENERAL SIR WILLIAM HOWE (1729 - 1814)

وحدث بعد ذلك ما أدى إلى رفع هذه الروح المعنوية لدى الأمريكيين، إذ استسلم الجنرال «جوني بورغوين»[11] لجورج واشنطن يوم ١٧ تشرين الأول – اكتوبر– ومعه (٦) آلاف رجل. أما بقية جيشه فقد سحقت في «فريمان فارم» يوم ١٩ أيلول – سبتمبر– وفي «بيمي هايتس» يوم ٧ تشرين الأول –اكتوبر– وفي شهر كانون الأول – ديسمبر– غادرت بقية القوى ميادين القتال المختلفة وانسحب واشنطن بدوره ومعه الكتلة الرئيسية من قواته إلى معسكراته الشتوية في «فالي فورج» الواقعة على بعد عشرين ميلاً إلى الشمال الشرقي من فيلادلفيا.

لقد نجح واشنطن في حماية جيشه من الهزيمة، كما أنه استطاع هزيمة القادة الانكليز، إلا أنه أصبح على يقين بالرغم من ذلك أن أساليبه التكتيكية المعتمدة على «التأخير أو التعطيل» غير كافية للانتصار النهائي وكسب الحرب. وكان تطوير هذه الأساليب يعتمد على القدرة بتطوير جيشه. وكانت إحدى العقبات التي تعترض سبيل التطور هي سياسة التجنيد لمدة قصيرة: ولم يوافق المؤتمر «الكونغرس» على تمديد مدة التجنيد حتى ثلاثة أعوام أو حتى نهاية الحرب، إلا في سنة ١٧٧٦. كما كان جيش الولايات الموحد يتنافس مع جيوش الولايات، حيث كانت ادارات هذه الولايات تقدم شروطاً أفضل من تلك التي يضمنها الجيش الاتحادي، وبصورة خاصة في مجال دفع الرواتب (ولو أن رواتب المتطوعين النظاميين كانت مختلفة). وبالإضافة إلى ذلك فإن (الآباء المهاجرين) من المتطهرين «البيوريتانيين» كانوا يعارضون كل تطوير للجيش الاتحادي المحترف، ويحبطون محاولات واشنطن لزيادة حجم جيشه، ويرغمونه على زيادة اعتماده على «ميليشيا الولايات». وكان من العسير جداً قيادة تشكيلات تضم وحدات منفصلة تعمل تحت ظروف مختلفة وبشروط متباينة.

كانت مشكلة الإمداد قضية تضغط بثقلها على واشنطن بصورة دائمة. ففي شتاء سنة ١٧٧٧ – ١٧٧٨ وصل تقرير يشير إلى وجود (٣) آلاف رجل لم يعودوا

---

(١١) جوني بورغين: LIEUTENANT - GENERAL (GENTLEMAN. JOHNNY BURGOYNE) جنرال انكليزي (١٧٢٢ – ١٧٩٢) ارغم على توقيع وثيقة الاستسلام في ساراتوغا. وهي الوثيقة التي ضمنت استقلال الولايات المتحدة الأمريكية. وقد أصبح ابنه جون فوكس (JOHN FOX) جنرالاً، وناشراً مميزاً له شهرته الواسعة.

صالحين للخدمة ، وهم حفاة – عراة . ولم تكن هناك وسيلة للحصول على الصابون ، وكانت تمضي في كثير من الأحيان فترة أيام عديدة بدون أن تتوافر الامكانات لإمداد الجنود باللحم . هذا القصور في الإمداد بالذخائر والأسلحة ، دفع بـ : «بنجامين فرانكلين» إلى تقديم اقتراح – وبجدية تامة – بأن يتم تسليح الجيش بالرماح والأقواس والنشاب . وفي الحقيقة ، فإن الحافز لهذا الاقتراح لم يكن من أجل مجابهة القصور في الإمداد بالأسلحة فحسب ، وإنما أيضاً استجابة للمتطلبات التعبوية (التكتيكية) . حيث كان الرمي بالقوس – في تلك الفترة – أكثر دقة من الرمي بالبارودة . كما كان معدل الرمي بالقوس يعادل أربعة أضعاف معدل الرمي بالبارودة أضف إلى ذلك أن القوس لا يترك دخاناً يغطي ميدان المعركة . وأن الإصابة بالسهم في أي قسم من جسم الإنسان تترك المقاتل عاجزاً ، وتخرجه نهائياً من ميدان القتال ، حتى لو تم استخراج السهم .

وكانت اوبئة الجدري والتيفوس تنتشر بالرغم من الخدمات الطبية التي بذلت جهوداً أكبر من امكاناتها المحدودة . وقد ساعدت عزلة الأقاليم الأمريكية واتساع مناطقها على الحد من انتشار الأوبئة .

غير أن الحشد الكبير لاعداد ضخمة من الرجال في معسكرات غير صحية تضم ما ترسله الولايات الثلاث عشرة ، قد أدى إلى انتشار الأمراض والأوبئة . وكانت المستشفيات الأولى التي تم تنظيمها ، قد اقتصرت على اطعام المرضى الذين كانوا يحشرون باعداد كبرى في غرف صغيرة . حيث ينامون بصورة متعاكسة (أقدام المريض عند رأس المريض الذي يليه) وفوق حصير من القش لا يتم تغييره أو تبديله ، فكان حاملو التيفوس ، ينقلون معهم الحمى إلى كل نزلاء السجون أو المستشفيات .

وفي سنة ١٧٧٦ بلغت خسائر واشنطن في القتال (١٠٠٠) قتيل و(١٢٠٠) جريح و(٦) آلاف أسير ومات (١٠) آلاف بالأمراض والأوبئة . وبنتيجة ذلك انتشر مبدأ (التلقيح) في الجيش الاتحادي وأصبح في سنة ١٧٧٧ من الأعمال الرتيبة (الروتينية) فتناقصت نسبة الوفيات بالجدري من (١٥٠) بالألف إلى (٢) بالألف فقط .

لم يكن استخدام المخدر معروفاً في المجال الطبي ، فكان الجرحى من الرجال يفضلون احتمال آلامهم حتى يلتئم الجرح على الرصاصة . وكانت عملية بتر الأعضاء

كثيرة ومنتشرة ، وبعد أن يتم البتر بآلام لا توصف ، يكوى الجرح بالزفت المغلي حتى يتم تعقيم منطقة البتر وكيها وايقاف الجرح النازف . وقد ظهر اهتمام بإقامة المراحيض في المعسكرات بسبب استمرار الحرب لمدة طويلة . وصدرت أوامر من القيادة بردم هذه المراحيض أو إقامة مجاري لها حفاظاً على الصحة العامة للجنود .

حرص واشنطن على تأكيد اهتمامه بالمحافظة على الروح المعنوية العالية كوسيلة للتعويض عن النقص في الإمداد والقصور في إرسال المواد التموينية ، فكان الموجهون الدينيون يشكلون قسماً أساسياً من أقسام المعسكر ، وكانت برامجهم للصلاة جزءاً من البرنامج اليومي يلي الاجتماع مباشرة وعقب تلاوة الأمر اليومي . وكان الوزراء في أيام الآحاد يقيمون احتفالات تتضمن أحاديث وخطباً مستفيضة تعالج فيها «أفكار المواطنين» مختلطة بالأدعية والابتهالات إلى الله . وعندما يكون جمهور الحضور كبيراً ، كانت تقام منصة مرتفعة حتى يتمكن الجميع من رؤية المتحدث أو الخطيب . ولكن المضمون الحقيقي لهذه الجهود التي بذلها واشنطن وضباطه الاعوان كانت تضيع دونما جدوى في كثير من الأحيان بسبب ما كان يتم ارتكابه من سوء في الإدارة ومن ممارسة لأعمال الابتزاز والمضاربة ومن تخريب المستغلين سواء المشرعين منهم أو المتعاقدين أو التجار . وعلى الرغم من ذلك ، ففي ربيع سنة ١٧٧٨ أصبح الجيش رغم صغره ، وتناقص قوته العددية ، أكثر قوة مما كان عليه ، وذلك بفضل ما تم انجازه من تطور في مجال التدريب ، وبسبب موت الكثيرين من المرضى غير الأقوياء ، علاوة على التخلص من تلك الاعداد الكبرى التي هربت بسبب ضعفها وعدم قدرتها على الاستمرار . غير أن ذلك لا يخفي فرار مئات الجنود الأصحاء وانضمامهم إلى معسكرات الجيش الإنكليزي .

بقيت فرنسا تساعد الثوار الأمريكيين بالأموال والاعتدة ، ولكن بصورة سرية ، حتى إذا ما أقبل شهر شباط – فبراير – ١٧٧٨ ، دخلت الحرب رسمياً ضد انكلترا – عدوتها التقليدية وعدوة الأمريكيين في تلك الفترة – . وجابهت انكلترا عندها ما يشبه الحرب العالمية . وبقيت كتلة الجيوش الرئيسية في حالة من العطالة حتى شهر أيار – مايو – حيث وقعت بعض المناوشات أو الاشتباكات ، وأعمال الاستطلاع ، تحركت القوات الإنكليزية بعدها بسرعة مذهلة من فيلادلفيا إلى نيويورك . وقامت قوات جورج واشنطن بمطاردتها ، حيث وقعت معركتان غير

حاسمتين في «مونماوث كورت هاوس» و «نيوجرسي» بتاريخ ٢٨ حزيران – يونيو – وتابعت القوات الانكليزية تحركها حتى وصلت نيويورك تحت قيادة «الجنرال هنري كلانتون» (*) لتجد نفسها بعد ذلك وهي تحت الحصار الذي فرضه عليها جورج واشنطن. وكان هذا آخر اشتباك رئيسي وقع في الشمال، حيث انتقل الجهد الرئيسي للعمليات بعدئذ نحو الجنوب. غير أنه حدث قبل انتهاء هذه الحملة وقوع مجموعة من الاشتباكات الوحشية الدامية بين المخلصين للتحالف مع الهنود، وبين الثورويين من أصحاب الأراضي الواقعة على حدود ولايتي نيويورك وبنسلفانيا.

بقيت الكتلة الرئيسية في الشمال طوال سنة ١٧٧٩، وهي في حالة من الجمود التام تقريباً. غير انه تم ارسال بعض الحملات الصغرى، مثل تلك التي أرسلها جورج واشنطن إلى «ستوني بونيت» يوم ٣١ أيار – مايو – بقيادة «واين» من أجل مباغتة الحامية البريطانية التي كانت قد وصلت حديثاً إلى هناك، وأسرها والاستيلاء على مواقعها. وكان واشنطن قد نقل مقر قيادته خلال ذلك إلى «ويست بوينت». وبعد مضي أسابيع قليلة على الاغارة السابقة، قام «الميجر هنري لي – أو الحصان الأبيض السريع» كما كانوا يلقبونه بتحقيق نجاح مماثل في «باولوس هوك» يوم ١٨ آب – أغسطس – مظهراً بذلك أن الأمريكيين قد اكتسبوا خبرة قتالية معادلة لتلك المتوافرة لدى خصومهم، إن لم تكن أفضل منها، علاوة على تأكيد استعداد الأمريكيين للامساك بالمبادأة. وقاد الجنرال الأمريكي «سوليفان» حملة تأديبية ضد جنود الولايات الست، فدمر محاصيلهم الزراعية، وقراهم، وأبعدهم عن حماتهم –حتى نياغارا– وفي الوقت ذاته، انطلقت مجموعة من الحملات الصغرى بمبادءات فردية ودونما موافقة من القيادة العليا، بقيادة ضباط صغار (اعوان) دفعتهم حماستهم لقيادة هذه الحملات، كتلك التي كان هدفها تدمير القوات الإنكليزية في خليج «بينوبسكوت» وكان الفشل من نصيب مثل هذه الحملات السيئة الإعداد والتنظيم.

وصل العدد النظري لقوة جيش واشنطن في تلك السنة (١٧٧٩) حتى حدود

(*) LIEUTENANT - GENERAL SIR HENRI CLINTON (1738? - 1795)

(٢٧) ألف مقاتل . غير أن القوة الحقيقية لم تكن تزيد كثيراً على (١٠) آلاف مقاتل ، بسبب اقتراب انتهاء مدة الخدمة بعد تمديدها لمدة ثلاث سنوات . ومقابل ذلك ، كانت القوة البريطانية تزيد على (٢٩) ألف مقاتل بينهم (٤) آلاف من الذين حافظوا على الولاء للشرعية البريطانية و(١١) ألف ألماني . وبدأ التضخم المالي الكبير ، والزيادة الكبرى في الضرائب باستثارة النقمة . فقام المدنيون بالتظاهرات واثارة الشغب ، كما وقعت إضرابات في عدد من المناطق بسبب الغلاء وفقد المتطلبات الضرورية للحياة . وكان لذلك أثره في احباط الروح المعنوية للجنود ، مع ظهور بواكير نكوص في الروح الثورية. ورافق ذلك أيضاً تفاقم في المضاربات المالية ، والمبارزات وتعاطي المشروبات الروحية بكميات كبيرة في وسط طبقة «أثرياء الحرب». وأثر التضخم المالي على امداد جيش واشنطن بالمواد التموينية والغذائية ، حتى بات من الصعب شراء قطار من المواد التموينية بما يعادله من حمولة من النقود والأموال ، وحتى لم يعد الراتب السنوي للنقيب «كابتن» كافياً لشراء زوج من الأحذية لهذا النقيب . فاستقال عدد كبير من الضباط . ووقعت أربعة أعمال من التمرد بنتيجة عدم توافر الامدادات بالتموين والاطعام ، وبنتيجة انخفاض قيمة النقود في السيولة المالية . وعندما اقبلت السنة الجديدة (١٧٨٠) انطلق جيش واين الاتحادي من بنسيلفانيا إلى فيلادلفيا بمسيرة ترفع راية التمرد والعصيان بهدف ارغام المؤتمر «الكونغرس» على اتخاذ الإجراءات الضرورية لحل هذه الضائقة . وأدى نجاح هذه المسيرة إلى ظهور تمرد آخر ، أرغم واشنطن على التحرك بسرعة واستخدام أقسى درجات العنف لقمعه والقضاء عليه ، وتم اعدام اثنين من صف الضباط كان لهما دور بارز في التحريض على التمرد . وكان المجرمون الحقيقيون هم أعضاء حكومات الولايات الذين كانوا ينقضون عقودهم مع الجنود بصورة مستمرة . فوقعت اعمال التمرد الأربعة ، والتي كان ثلاثة منها في «موريس تاون» (بتاريخ ٢٣ أيار – مايو – ١٧٨٠ وكانون الثاني – يناير – وأيار – مايو – ١٧٨١) والرابع في «بومبتون» (بتاريخ ٢٠ كانون الثاني – يناير – ١٧٨١). وقد كان لأعمال العصيان هذه دورها بتحذير المسؤولين إلى درجة كافية ، وأصبح موقف الامداد بعد التمرد أفضل مما كان عليه قبله .

تميزت سنة (١٧٨٠) بصورة عامة انها كانت سنة تراجع من جانب الأمريكيين . وتركزت الأعمال القتالية في الجنوب حيث قام البريطانيون بقيادة

«كورنواليس»[١٢] بهزيمة «غيت» في «كامدن» جنوب كارولينا يوم ١٦ آب – أغسطس – غير أن الموقف شهد بعضاً من التحسن عندما أصر «واشنطن» على تمسكه بصلاحية تعيين القادة هناك ، ومن ثم فقد أصدر أمره بتعيين الجنرال «ناثانييل غرين» الذي طبق أساليب حرب العصابات (الغيريلا) وحقق في ذلك نجاحاً رائعاً .

بدأت السنة الجديدة بداية سيئة بالنسبة لجورج واشنطن ، إذ اتخذ المؤتمر (الكونغرس) قراره بتخفيض عدد كتائب الجيش الاتحادي إلى (٥٨) كتيبة . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن الولايات لم تلتزم بتقديم ما هو مفروض عليها من الامدادات بالرجال والأموال . وبقي الاطعام والثياب قليلين جداً على نحو ما كانا عليه باستمرار ، وظهر القصور الكبير في وسائط النقل ، وتزايدت أزمة السيولة المالية (النقدية) . ولم تحرز القوات الافرنسية خلال هذه الفترة أي انتصار في البحر . وظهرت الصورة القاتمة أمام واشنطن ، فكتب إلى المؤتمر (الكونغرس) ما يلي : «اني عاجز تماماً عن التخطيط لأي حملة» . غير أن الإمدادات الافرنسية وصلت بعد ذلك مباشرة . ووافق واشنطن على القيام بهجوم مشترك على نيويورك . لكن الافرنسيين عادوا من جديد فبدلوا مخططهم . وتركوا قوة من (٤) آلاف رجل لمراقبة نيويورك . فأخذ واشنطن بحشد قواته للتوجه بها نحو الجنوب .

أخذ القائد الانكليزي (كورنواليس) عندها بالتحرك على ثلاثة ارتال ، متقدماً في اتجاه فرجينيا ، ولكن عندما استطاع الاسطول الافرنسي هزيمة الاسطول الانكليزي في مياه فرجينيا خلال الفترة من ٥ إلى ٩ أيلول – سبتمبر – . وجدت قوات (كورنواليس) نفسها وقد وقعت في كمين (في يورك تاون) وتم تطويق (٧٥٠٠) انكليزي بقوة (١٦) ألف مقاتل أمريكي . وأدى تناقص كميات الذخائر والمواد التموينية بالقوات الانكليزية للاستسلام بعد شهر من الحصار ، حيث وقع (كورنواليس) وثيقة الاستسلام يوم ١٩ تشرين الأول – اكتوبر – ١٧٨١ .

---

(١٢) كورنواليس : (LIEUTENANT GENERAL EARL CORNWALLIS CHARLES) جنرال انكليزي من مواليد لندن (١٧٣٨ – ١٨٠٥) ، استسلم في يورك تاون في سنة ١٧٨١ – أثناء الحرب الأمريكية – وأخضع تيبو ساهيب (TIPPO – SAHIB) آخر المتمردين في ميسوري . وأصبح نائباً لملك ايرلندة . وقضى على التمرد الذي ظهر في ايرلندة سنة ١٧٩٨ .

لم تقع في سنة (١٧٨٢) عمليات عسكرية مثيرة . وكانت مفاوضات السلام خلال هذه السنة مستمرة في باريس . وكانت أكبر مشكلة تجابه واشنطن هي الاحتفاظ بجيشه مجمعاً لاقتطاف ثمار النصر ، وللمحافظة على كفاءته . فقسم جيشه إلى قوتين ميدانيتين ، تولى غرين قيادة احداهما في جنوب كارولينا لمراقبة «شارلستون» . واحتفظ لنفسه بقيادة القوة الثانية لتغطية نيويورك ، حيث كان القائد البريطاني قد أعلن أنه : «أوقف كل الأعمال العدوانية» . وقد أدى التأخير في دفع المرتبات بإحدى الوحدات لاعلان تمردها ، والقيام بمسيرة عصيان إلى فيلادلفيا .

أعلنت بريطانيا رسمياً ايقاف كل الأعمال العدوانية في شهر شباط - فبراير - ١٧٨٣ ، وأصدر المؤتمر (الكونغرس) الأمريكي اعلاناً مماثلاً في مقر قيادة واشنطن بالقرب من نيويورك في شهر نيسان (أبريل) وتم التوقيع على معاهدة السلام في باريس يوم ٣ أيلول - سبتمبر - . وغادرت آخر قوة بريطانية مدينة نيويورك يوم ٤ كانون الأول - ديسمبر - . وفي يوم ٢٣ كانون الأول - ديسمبر - قدم واشنطن استقالته من منصبه ، كقائد أعلى للجيش الاتحادي - وغادر مقر قيادته بعد احتفال بسيط تمت إقامته له في قاعة الكونغرس في فيلادلفيا .

بلغ عدد المقاتلين الذين تم تجنيدهم من الأمريكيين في حرب الاستقلال حوالى (٤٠٠) ألف مقاتل ، سواء من تم تجنيدهم في الجيش الاتحادي أو في جيوش الميليشيا في الولايات . وكان يتم في كثير من الأحيان تجنيد الرجال ، ثم يعاد تجنيدهم مرات عديدة . ولم يحدث أبداً أن زاد عدد المقاتلين في أي وقت من الأوقات على (٣٠) ألف رجل . ولم تعرف اعداد القتلى أبداً بصورة دقيقة . وتتراوح التقديرات عن الخسائر بين (١٠) و(٧٠) ألف قتيل .

يظهر العرض السابق أن جورج واشنطن لم يكن مجرد قائد من اعظم قادة الدنيا عبر العصور . وإنما كان أيضاً إدارياً رائعاً ، وضابطاً يعتمد في هيبته على ما هو أكثر من رصيده الذي تمثله طبقته الاجتماعية . لقد كان مقاتلاً مميزاً يتمتع بقدر كبير من الشجاعة ، وكان لديه من الصبر قدراً يعادل ما لديه من فضائل الشجاعة والإدارة الحازمة والكفاءة القيادية . ويكفي للبرهان على ذلك استقراء مجموعة الصعوبات التي برزت عبر السطور السابقة والتي لم تمنعه من احراز انتصاراته الحاسمة ، رغم كل

ما كان عليه جيشه من النقائص والعيوب . وهذا في حد ذاته برهان ساطع على عبقريته العسكرية .

لقد تولى واشنطن قيادته ، وهو يمتلك مزارع رائعة في فرجينيا . فتخلى عن عمله ، وجهز قوة من مزارعيه ، وقدم لهم أفضل خيوله . وبقي محافظاً على هيئته البسيطة ، مرتدياً ثيابه العادية ، ولم يميز نفسه بأية شارة تنم عن رتبته القيادية . وقدم مبالغ كبيرة من أمواله لمساعدة جنوده ورفض باستمرار أية مكافأة أو تعويض لقاء ما كان يضطلع به من عمل ، وما يقدمه من جهد .

وأحب جنوده ، فأحبوه ، وأخلص لهم ، فأخلصوا له حتى أبعد الحدود . وقد حفظ له التاريخ قوله ، يوم اسندت إليه القيادة التي لم يكن راغباً بها في حزيران - يونيو - ١٧٧٥ حيث صرح بما يلي : «أعلن هذا اليوم باخلاص تام ، انني لا أرى في نفسي أهلاً لهذه القيادة التي اسندت إلي ، غير أنه يشرفني الاضطلاع بهذه المسؤولية» . وتولى قيادة (١٥) ألف مدني ثم لم يلبث بفضل جهده المستمر ، وثباته وصبره أن طور القدرات العسكرية التي مكنته من احراز النصر النهائي ، وتحقيق مطامح شعبه وأهدافه ، حتى إذا ما شعر أن واجبه قد انتهى ، استقال من عمله ليعود إلى حياته الخاصة التي طالما افتقدها وافتقدته .

٤ - قادة واشنطن :

كان القادة العسكريون في جيش حرب الاستقلال يشكلون مزيجاً متفاوتاً جداً من الكفاءة والعبقرية . ويحتل جورج واشنطن موقع القمة فوق كل قادته ، لا في افق السياسة الاستراتيجية ، وإنما في الكفاءة الإدارية والفضائل الخلقية والمهارات التعبوية (التكتيكية) . ولقد عمل مع واشنطن طوال حرب الاستقلال عدد كبير من القادة (الجنرالات) . وفيهم عدد من جنسيات مختلفة ، وقد يكون في استعراض سيرة بعضهم - ولو بصورة وجيزة - ما يغني البحث من جهة ، وما يؤكد الكفاءة العالية لواشنطن من جهة ثانية .

(أ) الجنرال بنديكت ارنولد :[١٣] :

رجل خيالي . ومندفع إلى درجة التهور ، تولى قيادة الاغارة الجريئة على «فورت تيكونديروغا» في ١٠ أيار (مايو) ١٧٧٥ . والتي حصل فيها الأمريكيون على غنائم لا تقدر بثمن – وأهمها المدافع والذخائر .

وكان له دور كبير في إحراز النصر أثناء الهجوم على مرتفعات «بيميس» حيث تولى قيادة الهجوم المضاد على «بورغوني» ودفعه نحو جناح الجنرال «غيت» . غير أن طموحه وأنانيته وقصور حيلته دفعته إلى خوض صراعات مع اخوانه من القادة الأمريكيين (الجنرالات) . فأخذ بإجراء اتصالات سرية مع البريطانيين وسلمهم المواقع المسيطرة على «ويست بوينت» . وعندما اكتشفت خيانته ، هرب إلى البريطانيين الذين عهدوا إليه بقيادة الوحدات الأمريكية التي بقيت موالية لبريطانيا . وقد نصح البريطانيين بمحاولة شراء واشنطن عن طريق منحه لقب «دوق» والتفاوض معه ، غير أن هذه المحاولة فشلت فشلاً ذريعاً .

(ب) الميجر جنرال لافاييت[١٤] :

قتل والده بقذيفة مدفع في معركة «ميندن» سنة ١٧٥٩ ، فآلت إليه ثروة ضخمة ، وزاد ثراء بوفاة جده لأمه سنة ١٧٧٠ وحصوله على تركته . وكان برتبة نقيب عندما توطدت صداقته سنة ١٧٧٦ مع بنجامين فرانكلين . فاشترى سفينة ، وجهز قوة من الجنود والضباط بأمواله الخاصة وأمن لهذه القوة كل متطلباتها من السلاح والألبسة والتجهيزات القتالية ، ثم أبحر بهذه القوة ، فوصل إلى أمريكا

---

(١٣) الجنرال بنديكت ارنولد : (GENERAL BENDICT ARNOLD) . جنرال أمريكي (١٧٤١ – ١٨٠١) بدأ حياته القيادية بدايات رائعة . ثم انتهى بخيانة وطنه أثناء حرب الاستقلال الأمريكية .

(١٤) الميجر جنرال لافاييت : (MAJOR. GENERAL MARIE-JOSEPH-PAUL- YVES- ROCH-GILBERT DU MOTIER, MARQUIS DE LAFAYETTE) قائد عسكري ورجل سياسي فرنسي (١٧٥٧ – ١٨٣٤) ملكي ليبرالي ، اشترك في الثورة الأمريكية – حرب الاستقلال – كما اشترك في الثورتين الافرنسيتين سنة ١٧٨٩ وسنة ١٨٣٠ .

سنة ١٧٧٧ . ووافق (المؤتمر – أو الكونغرس) على منحه رتبة ميجر جنرال . وخاض معركة «براندي – واين» حيث أصيب برصاصة في ساقه . وأمضى فصل الشتاء مع جورج واشنطن في معسكره الشتوي في وادي «فورج» . ولم يتول بعدها قيادة أي عملية عسكرية لها أهميتها . ورجع إلى فرنسا سنة ١٧٧٨ . حيث أمضى فيها سنة بذل جهده خلالها للحصول على المزيد من الدعم والمساعدة ، ورجع من جديد إلى أمريكا فوصلها في الوقت المناسب ليشترك في معركة «يورك تاون» وقد تم تضخيم دوره كثيراً ، واكتسب شهرة واسعة تزيد على دوره كقائد للأنصار الافرنسيين في حرب الاستقلال . والأمر الثابت هو أن «لافاييت» بقي مخلصاً لعواطفه الجمهورية حتى أبعد الحدود .

وقد استمر في ممارسة دوره ضمن هذا الاتجاه الليبيرالي طوال حياته .

(ج) الجنرال انتوني واين(١٥) :

اشتهر الجنرال «انتوني واين» بلقب «انتوني الأحمق» بسبب طبيعته العنيفة المتطرفة ، غير انه كان في المعركة هادئاً حتى أبعد درجات الهدوء ، وقد عمل على تنظيم كتيبة من المقاتلين عندما اندلعت حرب الاستقلال .

ثم وصل إلى رتبة عقيد نظامي في الجيش الاتحادي . وقد عمل على حماية الانسحاب عندما تراجعت القوات الأمريكية عن «كويبك» ، وأسندت إليه قيادة لواء في معركة «براندواين» . وقد احيل إلى محكمة عسكرية – عرفية – على أثر فشله في معركة «باولي» غير أن المحكمة برأت ساحته . فعاد واشترك في معارك «جيرمان تاون» و «ستوني بوينت» و «مونماوث» وأصبح قائداً أعلى للجيش الأمريكي في سنة ١٧٩٢ .

(د) الجنرال هوراتيو غيت(١٦) :

كان قبل انتقاله إلى المعسكر الأمريكي ضابطاً في الجيش البريطاني وقد اكتسب خبرة قتالية واسعة باشتراكه في الحرب ضد الافرنسيين وفي الحروب الهندية . وقد

---

(١٥) الجنرال انتوني واين : GENERAL ANTHONY WAYNE. KNOWNAS "MAD ANTHONY"

(١٦) الجنرال هوراتيوغيت : GENERAL HORATIO GATES

استقر «غيت» في أمريكا سنة ١٧٧٢ . وتم تعيينه برتبة جنرال في الجيش الأمريكي بسبب ما عرف عنه من تطلعات ثوروية ، وذلك منذ الأيام الأولى لانفجار حرب الاستقلال . واعتبر في الوقت ذاته بديلاً لجورج واشنطن . غير أنه تم تعيينه رئيساً لدائرة شؤون الحرب بعد ذلك . وفي سنة ١٧٨٠ ، أرسل إلى الجنوب من جديد لقتال «كورنواليس» ومعه قوة لا تزيد على أربعة آلاف رجل تم تجهيزهم تجهيزاً سيئاً ، بالإضافة إلى أنهم كانوا على درجة سيئة من التدريب . وقد شنت عليه قوة بريطانية من (٢٣٠٠) جنديّ ، اغارة ليلية ، فمزقت قواته ، وهرب هو من المعركة ، وخسر بذلك تلك الشهرة التي كان قد اكتسبها في معركة ساراتوغا (١٧٧٧) .

(هـ) الجنرال ناثانييل غرين[١٧] :

اشترك الجنرال ناثانييل غرين في معركة بوسطن سنة ١٧٧٥ ، ثم أصبح الحاكم العسكري بعد الحصار . وخاض إلى جانب واشنطن معركة «ترنتون» . كما اشترك في معركتي «براندواين» و «جيرمان تاون» . وأصبح في سنة ١٧٨٠ قائداً لجيش الجنوب ، واضاع معركة «غيلفورد كورت هاوس» . وتم تعيينه بعد ذلك رئيساً للمحكمة العسكرية العرفية التي حكمت على الرائد البريطاني «الميجر جون اندريه» بالموت بسبب اشتراكه في خيانة آرنولد الذي أدين بدوره أيضاً بجريمة الخيانة .

(و) العقيد هنري لي[١٨] :

اكتسب العقيد هنري لي لقب «هاري الحصان السريع» بنتيجة نجاحه في اغاراته التي كان من أبرزها اغارته على «باولوس هوك» . وكان هو والد الجنرال الاتحادي الشهير روبرت — و — لي . وكان أخوه أيضاً «شارل» قائد لواء في الجيش الاتحادي ، غير أنه خسر شهرته بسبب سوء إدارته لمعركة «مونماوث كورت هاوس» حيث تم أسره وهو في فراشه .

---

(١٧) الجنرال ناثانييل غرين : GENERAL NATHANIEL GREENE

(١٨) العقيد هنري لي : COLONEL HENRY LEE

(ز) الجنرال ويليم مولتري[١٩] :

انضم ويليم للجيش الاتحادي منذ الأيام الأولى لانفجار حرب الاستقلال . ونظم تحصينات «سوليفان ايسلند» وأشرف على اقامتها . واستخدم الأخشاب الإسفنجية لتغطية الجدران وسطوح التحصينات ، فأمكن بذلك تأمين المقاومة بنجاح ضد قصف البحرية البريطانية لمدة طويلة . وتولى «مولتري» قيادة الدفاع بقوة (١٠٠) مدفع و (٦) آلاف رجل . ووجه مدافعه باحكام ضد الأهداف البحرية . فأمكن له بذلك منع البريطانيين من الاستيلاء على «شارلستون» في سنة ١٧٧٦ . غير أن الجنرال الانكليزي كلينتون هاجمه في سنة ١٧٨٠ وأرغمه على الإستسلام ، فأحرز الانكليز بذلك واحداً من أضخم انتصاراتهم في حرب الإستقلال الأمريكية .

(ح) توم بين[٢٠] :

توم بين هو رجل انكليزي ، كان والده يعمل في صناعة المشدات (الكورسيهات النسائية) . وهو – أي توم – من مواليد ثيتغورد (١٧٣٧ – ١٨٠٩) ارتحل إلى أمريكا سنة ١٧٧٤ ، حيث عمل في سنة (١٧٧٦) على نشر بحث حمل عنوان «الشعور المشترك» وضمنه أبرز الأحداث التي كان لا بد لها وأن تؤدي إلى ثورة المستعمرات . وتركت نشرة هذا البحث أصداء قوية اكسبته شهرة واسعة . وعندما انفجرت الثورة ، تم الحاقه بقيادة الجنرال غرين ، حيث تركز جهده على رفع الروح المعنوية للمقاتلين عن طريق كتاباته الثوروية . وكان بحثه عن (حقوق الرجل) من أشهر أبحاثه . وقد تم نشر هذا البحث استجابة أو رداً على ما كتبه باركر تحت عنوان (تأملات في الثورة) ونشره سنة ١٧٩٠ . وقد أدى اشتراكه في الثورتين الأمريكية والافرنسية – عن طريق كتاباته – إلى تصنيفه في طبقة الثورويين الراديكاليين . وكانت له هواياته المتعددة ، منها اختراعه للجسر الحديدي سنة ١٧٨٦ . وقد يكون من الصعب تصنيفه في عداد القادة الكبار ، رغم خدمته في جيش واشنطن لمدة طويلة . وكانت شهرته ، كصاحب دار للنشر وككاتب –منظر– أكبر من شهرته كجندي .

---

(١٩) الجنرال ويليم مولتري : GENERAL WILLIAM MOULTRIE

(٢٠) توم بين : TOM PAINE (THOMAS PAYNE)

(ط) النقيب جون باركر[٢١] :

يقال آن النقيب .«جون باركر» هو الذي تولى قيادة مجموعة «رجال الدقيقة – مينوتمان» (*) في لكسينغتون غرين يوم ١٩ نيسان – ابريل – ١٧٧٥ ، وأعطى رجاله الأمر المشهور : «لا تطلقوا النيران حتى يبدأوا هم باطلاقها . فإذا كانوا يريدون الحرب . فلتبدأ هذه الحرب من هنا» .

(ي) العقيد ويليام بريسكوت[٢٢] :

كان «ويليام» مزارعاً ، وانضم إلى الجيش ، فنظم الدفاع عن «بريدهيل» وحقق نجاحاً كبيراً . واشتهر بسيطرته الحازمة على اطلاق النار حتى أنه لم يكن يسمح لقواته بإطلاق النيران إلا بعد أن تنفذ ذخائر العدو . وكان نجاحه في ايقاف قوات تتفوق على جنوده بعددها ومستواها التدريبي إحدى الظواهر المميزة للحرب الثوروية .

(ك) بول ريفير[٢٣] :

اكتسب «بول ريفير» شهرة واسعة بعد اغارته الليلية التي انطلق فيها من كامبريدج إلى لكسينغتون والتي أمكن بواسطتها مساعدة هانكوك وآدامز على التخلص من قبضة الحصار ، والأسر . وقد خدم بعد ذلك كضابط مدفعي . واشترك في سنة ١٧٧٩ في الحملة الأمريكية المشؤومة على «بينو بسكوت» .

(ل) الجنرال – دوروشامبو[٢٤] :

اضطلع الجنرال دوروشامبو ، بدور حاسم في إحراز الإنتصار النهائي لمصلحة الثورة الأمريكية ، على الرغم من انه قد يصعب تصنيفه في عداد القادة الذين عملوا

---

(٢١) جون باركر : CAPTAIN JQHN PÄRKER

(*) مينوتمان : MINUTEMEM

(٢٢) العقيد ويليام بريسكوت : COLONEL WILLIAM PRESCOTT

(٢٣) بول ريفير : PAUL REVERE.

(٢٤) الجنرال دوروشامبو : LIEUTENANT GÉNERAL JEAN-BAPTISTE DONATIEN DE VIMEUR, COMTE DE ROCHAMBEAU

قائد فرنسي وصل إلى رتبة ماريشال فرنسا ، وهو من مواليد فاندوم (١٧٢٥ – ١٨٠٧) تولى قيادة الحملة التي أرسلتها فرنسا لدعم الثورة الأمريكية. وأصبح ابنه دوناتيان : (DONATIEN) جنرالاً في الجيش الافرنسي (١٧٥٠ – ١٧١٣) وقتل في معركة ليبزيغ وكان قد عيّن حاكماً لسانت دومينيك سنة ١٧٩٦ .

في الجيش الأمريكي تحت قيادة واشنطن . والجنرال دوروشامبو نبيل افرنسي وجندي محترف اكتسب خبرة قتالية عالية . وقد تم إرساله إلى أمريكا فوصلها في شهر تموز (يوليو) سنة ١٧٨٠ على رأس قوة من (٦) آلاف مقاتل . فاحتفظ بقواته في «رود ايسلند» لمدة سنة تقريباً . وعندما عمل (كورنواليس) بعد ذلك على التحرك إلى شبه جزيرة «يورك تاون» مرتكباً بذلك خطيئته القاتلة . وضع «دوروشامبو» مخططه بالتعاون مع واشنطن لايقاع «كورنواليس» بالفخ . فتحرك اسطول افرنسي تم احضاره من غرب اينديا ، وأنزل قوة من (٣) آلاف مقاتل بحار .

وكان «لافاييت» في هذه الفترة قد زج بقواته إلى الجنوب من «يورك تاون» . وتحرك دوروشامبو وجورج واشنطن إلى نيويورك بحركة مباغتة ثم تجاوزاها إلى «يورك تاون» . وأمكن لهما خلال ثلاثة أسابيع سحق القوات الانكليزية المتفوقة عددياً . في حين كان الأسطول الافرنسي يفرض سيطرته ليمنع كل انسحاب ، وقد أمكن له حرمان البحرية الملكية البريطانية من التحرك أو تقديم أي دعم .

وأخيراً ، اضطر أفضل القادة البريطانيين –**كورنواليس**– للاستسلام يوم ١٩ تشرين الأول –اكتوبر– ١٧٨١ وانتهى بذلك الصراع في حرب الاستقلال الأمريكية .

ركزت اسطورة الحرب الأمريكية أضواءها على شخصية الشاب «**لافاييت**» فحجبت هذه الأضواء شخصية روشامبو ، وظلمته ظلماً فادحاً . غير أن فرنسا قدرت له جهوده حق قدرها فمنحته رتبة مارشال فرنسا سنة ١٧٩١ ، وانقذته من المقصلة ، وعاش ليرى احياء التقاليد العسكرية في عهد نابليون بونابرت الذي أعاد له اعتباره سنة ١٨٠٤ ومنحه راتباً يتناسب ورتبته العسكرية .

(م) الجنرال توماس سومتر(٢٥) :

اشتهر «توماس» بقيادته لمجموعة من مقاتلي العصابات (الغيريلا) من جنوب كارولينا ، وهي المجموعة التي أصبح نشاطها بارزاً بعد معركة «كامدن» . وقد أفاد «توماس» إفادة كبرى من مهاراته التي اكتسبها عبر القتال على الحدود قبل أن تندلع نار حرب الاستقلال . فقام بقيادة مجموعة من الاغارات والكمائن كان من أبرزها

---

(٢٥) توماس سومتر : GENERAL THOMAS SUMTER

عملياته الصغرى ضد القائد البريطاني (باناستر تارلوتون) الذي كان يثير الفزع في نفوس الثوار .

(ن) الجنرال ارتوماس وورد[٢٦] :

تم تعيينه في نيسان (أبريل) ١٧٧٥ لقيادة الجيش النظامي الجديد . وكان مقاتلاً لديه خبرات واسعة ، اكتسبها في حربه ضد الافرنسيين والهنود . كان ضخم الجثة ، انطوائياً محباً للعزلة ، وذو صبحة معتلة ، ولم يكن يفهم إلا القليل في شؤون القيادة العليا . إلا انه على الرغم من ذلك ، فقد استطاع قيادة (١٥) ألف مقاتل وحاصر بهم الحامية النظامية الانكليزية في بوسطن ؛ وتولى القيادة اسمياً في قوة «بريسكوت» عند الهجوم على «بانكر هيل» . وعندما تولى واشنطن القيادة العليا ، قبل «ارتوماس» العمل معه كرجل – قائد – ثان في القيادة ، وبقي في عمله هذا حتى استقال في سنة ١٧٧٦ .

(س) الكولونيل دانييل مورغان[٢٧] :

بدأ «دانييل» خدمته كسائق عربة في حملة «برادوك» المأساوية سنة ١٧٧٥ . واصيب بعاهة مستديمة كانت تعيقه عن النطق بصورة صحيحة نتيجة اصابته بسهم اطلقه عليه من قوسه أحد الهنود . وقد ضرب أحد الضباط البريطانيين الأمر الذي أدى إلى جلده بخمسمائة جلدة تركت آثارها العميقة على جسده وعقله . وقد حمل إلى كويبك سنة ١٧٧٥ حيث تمت مبادلته خلال عملية تبادل للأسرى .

وانضم «مورغان» إلى عصبة الفرجينيين الذين قدم معظمهم من بنسلفانيا ، واشتهروا بكفاءتهم في السير المديد ، إذ كان «مورغان» يسير مسافة ٤٠ ميلاً في اليوم . وقد ارتدى «مورغان» وعصبته زي الهنود . وكانوا يتباهون بقدرتهم على إصابة ذيل السنجاب من مسافة مائة ياردة بدون أن يصيبوا الحيوان بأي أذى . وساعدتهم مهارتهم هذه على ازعاج «بورغوني» باستمرار . كما استطاع «مورغان» وعصبته مطاردة «تارلوتون المرعب» طوال فترة انسحابه ، والحاق الهزيمة به في «كاوبن» .

---

(٢٦) الجنرال ارتوماس وورد : GENERAL ARTEMAS WARD

(٢٧) الكولونيل دانييل مورغان : COLONEL DANIEL MORGAN

(ع) الجنرال وليم هيث[٢٨] :

اشترك «ويليم» في حرب الاستقلال ، وكتب مذكراته عنها ، وأصدر هذه المذكرات سنة ١٧٩٨ . وقد ركز فيما كتبه على انتحال دور العظمة ، فكان يردد عندما يتعرض لذكر نفسه قوله (قائدنا — أو جنرالنا) . وكان قائدنا هذا ، مربوع القوام ، سطحي الطباع والتفكير ، سميناً مكتنز اللحم والشحم ، أصلع الرأس . وهذا مما دفع الضباط الافرنسيين الذين كانوا يخدمون في الجيش الأمريكي إلى مقارنته «بالمركيز غرانبي» وكتب وليم قصة «النقيب بورتر»(*) الذي عمل في «ليكسينغتون» على تجريد قوة من سلاحها بصراحة مثيرة تفضح أشكال الصراع المضحكة في بعض الأحيان حيث ذكر ما يلي : «استمرت السرية في احتلال مواقعها على مسافة قريبة جداً من الطريق . وبعد أن تأكدت السرية من تصميم القوة البريطانية على التقدم ، عرفت انها ستجابه هذه القوة بالكثير من الشتائم أو حتى اطلاق النار والإصابة بجراح ، الأمر الذي يزيد على قدرة احتمالها . ولهذا فعندما طلب إلى السرية تنفيذ العملية ، امتنع أفرادها عن التنفيذ ، واستسلموا لخصومهم» .

(ف) العقيد جون ستارك[٢٩] :

وقع العقيد جون في قبضة الهنود الحمر كالطفل ، وأصبح عليه أن يسير شوطاً بعيداً في مجال هذا التحدي . فرفض بعناد كبير الضيافة المفروضة عليه لدى الهنود ، وانتزع العصا من قبضة أول الذين أشرفوا على تعذيبه . واستمر في الصراع مع معتقليه حتى بلغ منهم التأثر بشجاعته قدراً حملهم على اختياره واحداً من قادتهم . وقد عمل على الإشتراك في حرب الإستقلال ، وكان له دوره في قطع طرق اتصال «بورغوني» بكندا سنة ١٧٧٧ .

(ص) الجنرال فون شتيبن[٣٠] :

كان «فون شتيبن» قد خاض الحرب تحت قيادة فريدريك العظيم ، واشترك في

---

(٢٨) الجنرال ويليم هيث : GENERAL WILLIAM HEATH

(*) المركيز (غرانبي) MARQUIS OF GRANBY عملية النقيب بورتر CAPTAIN PORTER'S ACTION

(٢٩) العقيد جون ستارك : COLONEL JOHN STARK

(٣٠) الجنرال فون شتيبن : MAJOR-GENERAL BARON FRIEDRICH WILHELM AUGUST HEINRICH VON STEUBEN.

معارك براغ وروزباك وكونرسدورف ، واخذه الروس أسيراً وأفادوا منه لتدريب جنودهم . وكانت له مكانته في «سوابيا» وأصبح مارشالاً مرموقاً في بلاط «هوهنزولرن – هيشينجن». وقد وضع خبراته في خدمة جيش الثورة .

وشجعه امبراطور النمسا وملك سردينيا على ذلك ، غير أن وزير الحرب الافرنسي «الكونت سان جرمان» هو الذي اقنعه بالتوجه إلى أمريكا من أجل تدريب جيش واشنطن ، وعلى هذا الأساس اختار مترجماً له «اسمه بييردوبنسو» وعبر المحيط الأطلسي فوصل إلى «بورتسموث – نيوهمشير» في اليوم الأول من كانون الأول – ديسمبر – ١٧٧٧ . وقام «دوبنسو» بالتعريف بنفسه عن طريق طلب قبلة من أول آنسة محتشمة صادفها ، وكسب الرهان مع الفتاة البوريتانية . وقد استطاع «فون شتيبن» تحقيق نجاح كبير في تدريب جنود واشنطن في «وادي فورج» وأمكن له ترويضهم على احتمال التمارين القاسية ، على الرغم من عدم معرفته للغة الانكليزية ، مستفيداً في ذلك من مترجمه «دوبنسو». وكان «فون شتيبن» في الحقيقة نموذجاً لما تميز به البروسيون من الجد وحب العمل . فكان من عادته الاستيقاظ في الساعة الثالثة صباحاً ليبدأ عمله مع شروق الشمس . وكان يبذل عناية خاصة لتعليم الضباط أساليب الاعتناء برجالهم والاهتمام بهم وتعليم الجنود العناية بأسلحتهم والمحافظة عليها . ويذكر أن الجيش الأمريكي كان قد أضاع قبل وصوله ما بين (٥) آلاف و (٨) آلاف بارودة في سنة . ولم يكن جند الجيش الأمريكي يعرفون استخدام الحراب الا من أجل شواء اللحم وتقطيعه . وقد كتب واشنطن إلى الكونغرس بشأنه ما يلي : «انه أكثر من مجرد رجل نبيل ، ولم تسمح لي الظروف بمعرفته معرفة وثيقة وكافية لتقويمه ، غير أن ما عرفته هو انه على معرفة كبيرة بالأمور العسكرية ، إلى جانب خبراته بشؤون العالم» وتمكن بذلك من اقناع الكونغرس بتعيين «فون شتيبن» مفتشاً عاماً للجيش (تقديراً لكفاءته وحماسته ودأبه المستمر على العمل دون كلل أو تعب).

عرف عن «فون شتيبن» طيبة قلبه المتناهية ، على خلاف ما كان معروفاً عن الضباط في أيامه فكان يقوم شخصياً بزيارة المرضى في مصحاتهم . ولم يكن الضباط القادة يمارسون مثل هذا العمل . ويذكر انه عمل بعد معركة «يورك تاون» على بيع حصانه من أجل تأمين الطعام لعدد من الضباط البريطانيين الأسرى في قبضة الجيش الأمريكي .

عندما انتهت حرب الاستقلال ، منحه المؤتمر (الكونغرس) سيفاً ذا قبضة ذهبية تقديراً لما قدمه «فون شتيبن» للثورة . وقدمت له ولاية نيوجرسي مزرعة صغيرة . كما قدمت له ولاية نيويورك أرضاً مساحتها (١٦) ألف أكراً(*) من الأراضي المقفرة في اقليم أونيدا . وبعد ذلك بمدة سبع سنوات وافق الكونغرس على منح «فون شتيبن» راتباً تقاعدياً قدره (٢٥٠٠) دولار سنوياً .

تلك هي بعض نماذج القادة الذين عملوا مع واشنطن – من قريب أو بعيد – وهناك غيرهم كثير ممن تركوا بصماتهم على «جيش الثورة». ولم يكن البولوني بولاسكي – على سبيل المثال – أقل من شتيبن . كما كان للافرنسي (دوبونتغيبو)(**) دور كبير في تسجيل أحداث الثورة وظروفها علاوة على اشتراكه في اعمالها من خلال تطوعه في قوة المركيز لافاييت .

لقد اهتم «دوبونتغيبو» بسيرة رجال الثورة ، قدر اهتمامه بوصف حالة الجيش ، فكتب في مجال تقويم القادة ما يلي : «كان «غيث» ، بطل النصر في معركة ساراتوغا ، رجلاً قصير القامة ، يبلغ الخمسين من عمره تقريباً ، ولم يكن قبل سنتين من احرازه لهذا النصر سوى واحد من المزارعين الأثرياء . وعندما قابله الفارس دوبونتغيبو للمرة الأولى ، كان يضع على رأسه قبعة من الصوف فوقها قبعة مما يضعه المزارعون على رؤوسهم» . وعند تعرضه للقائد بينديكت ارنولد . كتب عنه ما يلي : «لقد نجا أرنولد من الموت باعجوبة بعد إصابته بتلك الرصاصة في معركة ساراتوغا . ولم يكن قبل الحرب شيئاً يذكر أكثر من كونه مدرباً للخيول» «أما الجنرال لي – فكان واحداً يمثل عدداً قليلاً من القادة العسكريين الذين كانت لديهم خبراتهم قبل اندلاع نار الثورة» ، «وأما الجنرال سوليغان ، فكان محامياً قانونياً . وعندما انتهت الحرب وعاد السلم ، أعلن أنه لن يعود إلى حقله ومحراثه ، وإنما سيتوجه للعمل في مكتبه» كما تعرض لذكر «هاميلتون صديق واشنطن ، والذي عاد لممارسة مهنته في المحاماة أيضاً بعد انتهاء الحرب ، وليدافع عن فيلادلفيا ومصالحها» . «وكان

(*) الأكر : (ACRE) مقياس يستخدم في المساحة الأمريكية ويعادل أربعة آلاف متر مربع تقريباً .

(**) دو بونتغيبو : (LE CHEVALIER — DE PONTGIBAUD) .

الجنرال ستارك ملاكاً إقطاعياً يمتلك أراضي واسعة وخصبة» ويذكر الجنرال كنوكس – قائد المدفعية – فيقول عنه: «كان قبل الحرب مجرد أمين لدار من دور الكتب».

بمثل هذه «العينة» من الرجال، قاد جورج واشنطن جيشه، وبمثل هذا الخليط المتنافر من الكفاءات امكن له احراز انتصاراته. ولقد جابه أثناء قيادته صعوبات لا نهاية لها، واصيب بانتكاسات مريرة أمكن له التغلب عليها وتجاوز نتائجها بفضل ما توافر له من القدرات الشخصية. وكان صوته الهادئ في المعركة وثباته في مواجهة المحن، وشجاعته في مواجهة الخطر، كافية لإعادة الطمأنينة إلى القلوب التي أصابها الهلع.

ولم يكن جورج واشنطن بعد ذلك كله مجرداً من النقائص، أو محروماً من العيوب التي اكتشفها فيه اصدقاؤه والمقربون إليه، والذين ذكروا عنه: «انه كان سهل الانقياد – وبصورة خاصة لزوجته الإيرلندية» «وانه كان بطيء الفهم جداً، إلى درجة لا تتناسب مع ما وصل إليه – غير أنه كان مقابل ذلك دؤوباً على العمل – ويصل إلى هدفه بطريقة غير مباشرة – ويحطم كل رجل يستثير غيرته، أو يتحدى كبرياءه. ولقد استطاع مع ما هو عليه من هذه الصفات، قيادة الثورة نحو النصر، وصنع مستقبل الولايات المتحدة الأمريكية طوال العشرين سنة الأولى من الاستقلال. وعندما انتهت الحرب، تقدم إليه كبار القادة من السياسيين والعسكريين ليقبل بتنصيب نفسه ملكاً. غير أن واشنطن نظر إلى هذا الاقتراح بكثير من «الازدراء والاشمئزاز». وعندما أراد الانسحاب من مسرح الأحداث سنة ١٧٨٣ – وعند انتهاء ولاية رئاسته الأولى – وقف أمام أعضاء المؤتمر (الكونغرس) ليقول لهم: «انني اتخلى عن منصبي بقناعة تامة وبشعور الرضى عن النفس تجاه ذلك التعيين الذي كنت قد قبلته خجلاً، وبكثير من عدم الثقة بالنفس».

٥ – واشنطن وتنظيم الجيش:

وصف الفارس الافرنسي «دوبونتغيبو» حالة الجيش الأمريكي يوم تولى واشنطن قيادته بقوله: «سرعان ما وجدت نفسي في وسط المعسكر. وكنت اضع في مخيلتي انني سأرى صورة جيش في ثيابه العسكرية، واسلحته اللامعة، وراياته الخافقة الخ ... وبالاختصار كنت احسب انني سأشاهد العظمة العسكرية وظواهرها الفخمة بكل أشكالها وألوانها. ولكن عوضاً عن المشهد الذي كنت أتوقع رؤيته، وقع نظري

على بعض رجال الميليشيا وقد تجمعوا في مجموعات متفرقة ، وانعزل بعضهم عن الآخرين .

ثيابهم تؤكد بؤسهم ومعظمهم حفاة ، وأكثر اسلحتهم سيئة ، غير أنهم كانوا جميعاً يتلقون القليل من الطعام. ولاحظت أن السكر والشاي يشكل جزءاً من تموينهم . ولم أكن أعرف حتى تلك اللحظة أن هذه الظاهرة هي من الأمور الطبيعية والمعتادة ، وضحكت إذ تذكرت رقباء الجند الافرنسيين وطعامهم وهم يقومون بخدمتهم أمام القصور الملكية في باريس . وتذكرت خاصة قول أحد الرقباء لجنده الفلاحين : «انك لن تحتاج شيئاً ما دمت في الكتيبة . وإذا ما حدث قصور في تقديم الخبز ، فعليك عدم التفكير بالأمر ، وتناول الكعك أو البسكويْت – بدلاً منه» . أما هنا فالجنود يتناولون السكر والشاي بدلاً من كل شيء ، وعوضاً عن كل شيء .

ولاحظت أيضاً أثناء جولتي في المعسكر أن الجنود يضعون تحت قبعاتهم نوعاً من قبعات النوم القطنية . في حين كان يرتدي بعضهم معاطف فضفاضة أو أردية واسعة أو يلتفون بما يشبه الأغطية الصوفية الخشنة ، وهي تشابه تماماً تلك التي يَتم تقديمها للمرضى في المستشفيات الافرنسية . وعلمت بعدئذ أن هذه المعاطف والأردية هي من المميزات التي ينفرد بامتلاكها الضباط ، القادة منهم والأمراء» .

كانت تلك هي الصورة الحقيقية للجيش الأمريكي ، وفقاً لما شاهدها رجل افرنسي وقد تعرف للمرة الأولى على هذا الجيش الذي كان يشرف عليه واشنطن وذلك بعد الانتصار في معركة ساراتوغا مباشرة . وقد يكون من المناسب تجاوز هذه الصورة الإجمالية – العامة – لمتابعة ما حدث من تطورات في تنظيمه وتدريبه وتسليحه ، وحتى في طرائقه القتالية وأساليبه التعبوية (التكتيكية) .

(أ) المشاة :

عندما عقد المؤتمر الثاني للولايات (الكونغرس) في ١٤ حزيران – يونيو – ١٧٧٥ بمدينة فيلادلفيا ، اتخذ المؤتمر قراراً بتشكيل عدد من كتائب المشاة – حملة البنادق – وكان هذا القرار هو البداية الرسمية لتكوين الجيش الاتحادي الأمريكي . غير أن التاريخ الأمريكي يشير إلى أن تنظيم جند المشاة قد سبق هذا التاريخ الرسمي ، ذلك أن الوحدات الأولى هي تلك التي حملت السلاح ضد النظام البريطاني تحت

اسم «رجال الدقيقة – أو المينوتمن» والتي ضمت إليها المتمردين الميليشيا من رجال المستعمرات . وتم تنظيمها بموافقة المؤتمر الإقليمي الأول (الكونغرس) . وقد قدم رجال المشاة بصورة رئيسية من مناطق الحدود في بنسلفانيا وفرجينيا وماريلاند . وكان هؤلاء يجنحون إلى الاستقلالية بصورة وحشية وضارية .

ولم يكن تقدمهم للعمل في الجيش إلا استجابة لنداء الحرية . فتدفقوا بالمئات . وكان يتم الاختيار – أوالانتقاء – من بينهم على أساس مسابقة في الرمي على أهداف تبعد مسافة ١٥٠ ياردة عن أماكن الرمي . وكان هؤلاء يرفضون الخضوع لأي شكل من أشكال الانضباط ، فتحولوا إلى عبء ثقيل وإلى عناصر اضطراب في معسكر بوسطن سنة ١٧٧٥ وانتشرت بينهم ظاهرة الفرار بالإضافة إلى ظاهرة التمرد . وقد دفع موقفهم هذا بالقائد واشنطن إلى اصدار تحذيره التالي : «**أصدر القائد العام – الجنرال – أوامره بالاعدام الفوري لكل رجل يحاول الهرب أو اللامبالاة والاهمال عن عمد أو التراجع من أمام العدو دون تلقي أوامر بذلك . والمأمول هو ألا تحدث مثل هذه الظواهر في هذا الجيش ، وإنما تبرز الظواهر المناقضة لذلك ، بحيث يؤكد كل فرد تصميمه على النصر أو الموت ، مستمداً ثقته من السماء التي ضمنت له الفرصة للقتال من أجل قضية عادلة ، وهي القضية التي تفرض عليه التصرف بشجاعة وحزم**» .

لقد كان لجندي المشاة – المسلح بالبارودة – فضائله في أعمال المناوشة أو القنص أو الاستطلاع . إلى جانب ما سبق ذكره من نقائص وعيوب . وكانت أسلحة جند المشاة تتطلب وقتاً طويلاً لشحنها ، وإعدادها للرمي ، ولم تكن بواريدهم مجهزة بالحراب التي تساعد حامليها على حماية أنفسهم والدفاع بكفاءة ضد انقضاض المشاة البريطانيين . وكان اعداد البارودة – أو شحنها – يتطلب اجراء مجموعة من العمليات ، التي تبدأ بوضع طعم الاشتعال من البارود الناعم ، يتبع ذلك وضع شحنة متفجرة من البارود الأخشن والأقسى في آخر السبطانة . ثم توضع قطعة صغيرة دهنية فوق المركز المتوسط من السبطانة وتوضع فوقها رصاصة وتحشر في حجرتها المخصصة لها . وكانت الرقعة الدهنية الكتانية التي ابتدعها أحد رجال الحدود وعممها على الجميع ، ذات فائدة كبيرة في مساعدة الرصاصة على الالتحام بالمواد المتفجرة واحتلال حجرة الانفجار باحكام ومن ثم الانطلاق عبر أخاديد السبطانة عندما ينفجر البارود . وقد أظهر البريطانيون اهتماماً كبيراً بهذا الأسلوب الذي يستخدمه المشاة رماة

البواريد ، حتى انهم ارسلوا أحد الأسرى إلى انكلترا لإظهار فائدته في زيادة فاعلية السلاح .

كانت البارودة هي السلاح الناري الرئيسي لرماة المشاة ، وكانت لدى جند المشاة الأمريكيين نماذج كثيرة ومتنوعة من هذه البواريد . إذ كان لدى كل رجل من رجال الميليشيا سلاحه منذ الأيام الأولى لبداية إقامة المستعمرات . ولم تكن هذه الأسلحة في كثير من الأحيان تمتاز عن بواريد الصيد بكثير من المميزات ، بل ان بعضها قد تمت إعادة صناعته بالإفادة من بعض قطع الأسلحة المهترئة وتجميعها على شكل بارودة من المحال تركيب حربة عليها . وكان أفضل نموذج رغب الجيش الاتحادي في الحصول عليه هو البارودة. الإنكليزية «براون – بيس» ذات الدقة الممتازة على مسافة ٥٠ – ٦٠ ياردة . وعندما بدأت الاشتباكات ،تم التعاقد مع كل ورشات الحدادين التي تصنع البواريد بصنع هذا النموذج من السلاح في كل الولايات الثلاث عشرة . وأمكن الحصول على المزيد من هذا السلاح ، عن طريق الاغارات على القلاع ومراكز الجيش الإنكليزي . بالإضافة إلى ما كان يتم الحصول عليه أحياناً عند استسلام حاميات بريطانية مع اسلحتها ، كما حدث في «تيكونديروغا» و «ساراتوغا» .

وعندما طال أمد الحرب واتصلت سنواتها ، أصبحت البارودة الافرنسية هي السلاح المفضل للمقاتلين الأمريكيين ، ويعود ذلك إلى سببين : أولهما – إتصال مقبض البارودة بسبطانتها واحكام هذا الاتصال مع الحاضن بروابط حديدية بدلاً من تلك المسامير النحاسيه.«التزيينية» . وثانيهما : ان هذا النموذج كان يساعد الرامي على تحريك السبطانة وتنظيفها بسهولة تامة . وكان تحقيق هذين الشرطين يستجيب لما كان يتطلبه «فون شتيبن» ومعاونوه ، والذين كانوا يضغطون باستمرار لاكساب الجنود الأمريكيين ميزتي «حرية الحركة والبساطة في العمل» . وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت أخاديد البارودة الافرنسية محمية بطريقة أفضل مما كانت عليه البارودة الانكليزية ، حيث توافر للبارودة الافرنسية رتاج مدعم يحمي (جهاز الاشعال) من التلف إذا ما صدمت البارودة بجسم صلب . وقد يكون من غير المهم استقراء كل مميزات تلك البارودة ، إلا أنه من المفيد استعراض أبرز خصائصها ، ومنها أن هذه البارودة قد حملت اسم «بارودة نموذج ١٧٧٦ ، إنتاج ١٧٧٧ – ت . ل – ١٥٢٠ .

م.م» وكان للسبطانة خمسة وجوه قصيرة وطولها ١١٣٧ مم . عيار ١٧,٥ مم . تكونت الشحنة العادية للبواريد الأمريكية من رصاصة كروية وخردقتين تندفع بتأثير شحنة من البارود محدّدة كميتها بمقياس معروف ، وتوضع هذه الشحنة من البارود في ظرف ورقي . ونظراً لما جابهته ظروف القتال من أحوال عسيرة ، ونظراً لوجود النقص في كل المواد لدى الجانب الأمريكي ، فقد تم قبول كل مايمكن استخدامه كمقذوف ، وعلى سبيل المثال ، فقد تم في معركة «بانكرهيل» استخدام المسامير القديمة ، وبرادة الحديد ذات الزوايا الحادة . ووافقت قيادة الطرفين المتصارعين على مثل هذا الاجراء كضرورة لا بد من اللجوء إليها .

بقي الاهتمام بسرعة إطلاق النيران هو هدف كل التمارين والأعمال التدريبية لجندي المشاة ، وذلك بهدف الوصول إلى معدل للنيران يبلغ طلقة في كل خمس عشرة ثانية عندما ترتفع حدة المعركة وتتزايد شدتها .

وكان الأمر المهم في ظروف قتال الالتحام هو احداث سَيل من الرصاص المتدفق على صفوف القوات المضادة ، أما هدف الإصابة المباشرة فقد اعتبر أمراً ثانوياً .

استطاعت الجهود المبذولة تطوير جندي المشاة ، فأصبح أكثر انضباطاً وأفضل تنظيماً . ومع هذا التطور صار بوسع الجندي إعداد الطلقات مسبقاً ، في المعسكرات أو عند إقامة الجنود في العراء . ولقد كان هذا الاسلوب في الحقيقة هو البداية لصناعة صغرى تتم بعيداً عن المعركة ، ويتم فيها تقليد ما كان يمارسه الجنود مع تطوير هذه الممارسة . فتشكلت سرية إصلاح الأسلحة ، وكان في جملة واجباتها إعداد الرصاص ، وتسليمه باليد لجند المشاة ، حيث يتم قطع أطراف العبوات وتوزيع محتواها على الرجال ، فيعمل كل رجل على تغليف الرصاصة باسطوانة من الورق المقوى قطرها ٦ – انش ، ويستخدم قضيباً خشبياً له شكل الرصاصة . ويعد الفراغ لاستقبال البارود الأسود الذي يتم صبه بواسطة مقياس البارود ، ثم يحكم اغلاق طرفي الظرف – أو الاسطوانة – المصنوعة من الورق المقوى عن طريق لفهما – تدويرهما – بحركة لولبية ، وعندما يتم تصنيع الظروف هذه توضع في حجرات يضمها صندوق من الجلد الأسود . وتبذل عناية كبرى لاحكام اغلاق هذه الصناديق حتى تقاوم العوامل الطبيعية . وعادة ما كان يتم وضع غطاء كبير لحماية السطح العلوي من الصناديق التي كانت تضم في داخلها كتلة خشبية قد ترك فيها ٢٠ – ٣٠

حجرة محفورة لاستيعاب ظروف الرصاصات وحمايتها . وكان يتم حمل صناديق الذخيرة على حمالات جلدية أو كتانية مستطيلة تساعد الجنود على حملها على الكتف الأيسر ، في حين يستقر الصندوق ذاته على الورك الأيمن (وهذه الصناديق تتشابه في شكلها وطريقة حملها مع المزودة التي يستخدمها الجنود في الوقت الحاضر لحمل اطعمتهم الجافة) . وكان جند المشاة الخفيفة ، وبعض الوحدات الخاصة ، يحملون صناديق الذخيرة هذه أمامهم – لا على الجانب – فتكون على مستوى حزام الوسط . وكان يحدث – بسبب ظروف الحرب – عدم توافر مواد جيدة مضادة للماء ، فيتم عندها اللجوء إلى (صفائح القصدير) التي كانت تضم ميزة إضافية وهي كونها مضادة للنار أيضاً ، علاوة على مقاومتها الجيدة للصدمات ، فأخذت هذه المادة في احتلال مكانتها عوضاً عن الصناديق الجلدية .

كان جندي المشاة يستخدم أيضاً نموذجين آخرين لحمل متاعه الشخصي ، وهما : حقيبة الظهر وجراب الجندي أو (كيس الحرب) . وكانت تحمل حقيبة الظهر بواسطة أحزمة جلدية تمر من فوق الأكتاف ومن تحت الابطين فتثبت الحقيبة على ظهر الجندي . أما (جراب الجندي) فكان يصنع من الكتان ، وله حزامه من الكتان أيضاً حتى يحمل على الكتف الأيمن ويوضع فيه كل ما يحتاجه ، بما في ذلك الأطعمة التي تعطى له أو التي يحصل عليها إذا ما ساعدته الظروف وحالفه الحظ (ويشبه هذا الجراب ما يطلق عليه حالياً اسم كيس البحارة . وهو لا زال مستخدماً بصورة خاصة من قبل جند المشاة البحرية الأمريكية بعد تطوير صناعته واتقانها) .

كانت الفأس التي يستخدمها الهنود الحمر «التوماهوك» مستخدمة على نطاق واسع جداً في صفوف جند المشاة الأمريكيين . وكانت هذه الفأس تعلق من أنشوطتها في نطاق الوسط ، أو تعلق على الكتف بواسطة انشوطة إضافية . وكان الجنود يستخدمون هذه الفأس كمقذوف على المسافات القصيرة ، حيث تكون إصابته قاتلة ، لا سيما عندما يقذف به المهرة من جند المشاة على أعدائهم . وإلى جانب ذلك ، كانت هذه الفأس مفيدة للجندي في حياة المعسكر ، سواء لقطع الأخشاب أو لنصب الخيام . وكانت السكين أو المدية هي السلاح المتوافر أيضاً في أيدي كل الجنود ، إذ كانت هذه السكاكين هي عدة القناصة والمقاتلين والباحثين عن فراء الحيوانات . وقد استخدم الأمريكيون السكاكين بكفاءة عالية وبصورة خاصة منهم رجال الحدود حتى أصبحوا ينافسون خصومهم الهنود الحمر في استخدامها . وكان بعض الضباط

يحملون نوعاً مميزاً من المدى – السكاكين – تزينها تصميمات متنوعة ، وهي على الأغلب ذات حد مزدوج ، تصنع مع قبضتها شكل الصليب . وكانت مسكات «قبضات» المدى غالباً ما تصنع من قرون الحيوانات (قرون البقر خاصة) أو من الخشب ، ويتراوح طول شفرة أو نصل السكين ما بين ٦ و ١٠ انشات . وتحمل هذه السكاكين في غمد جلدي يثبت على نطاق الوسط (الخصر) .

بقيت مشكلة تجهيز الجنود بالثياب هي المشكلة الدائمة طوال فترة الحرب . وقد ايقن رجال الميليشيا الثوار – بعد فترة من التردد في سنة ١٧٧٥ – بانه من المحال عليهم الاستمرار في ارتداء معاطفهم العسكرية ذات اللون القرمزي .

وهكذا تركت هذه المعاطف أو الاردية في البداية لكل من يرغب فيها – من المدنيين – بشرط ألا تكون حمراء – . واحتفظ الجنود ببقية الثياب : «القبعة ذات الزوايا الثلاث والبنطال الضيق والمعطف القصير – وست كوت – وواقية الساق والجوارب والأحذية» . واختارت بعض التشكيلات المعاطف الزرقاء اللون كلباس مميز لها : (مثل تشكيل نيوجرسي وجرسي بلو والوحدات الفرجينية التابعة مباشرة لقيادة واشنطن) . وأدى ذلك ببقية قوات الجيش الاتحادي لتبني المعاطف ذات اللون الأزرق ، على الرغم من أن اليوم المناسب لتوحيد اللباس لا زال بعيداً جداً ، بحيث لم يتم هذا التوحيد إلا في سنة ١٧٨١م . وقد استثنيت ثياب السرايا المستقلة لوحدات الرينجرز من اللون الأحمر ، إذ كانت هذه السرايا تمثل النخبة المختارة من المقاتلين الذين كانوا يرتدون في الميدان جلد الحيوان المقلوب – الصوف نحو الداخل – وله أهداب سواء منها القمصان أو الأحذية . وكانت هذه الوحدات تلبس للعرض – وبصورة استثنائية السترة – الجاكيت – القصير باللون الأخضر . وكانت وحدات – روجر – هي من أشهر وحدات الرينجرز على الإطلاق وبقيت هذه الوحدات موالية للبريطانيين ، ولو أن بعضها انتقل إلى صفوف الثوار وحافظت على ألبستها المميزة (السترة الخضراء القصيرة) .

عمل واشنطن على حل مشكلة عدم توافر البسة موحدة للجيش ، فاتخذ قراراً بالباس جيشه قمصان الصيد ، وأصدر أوامره لتعميم اللباس الموحد يوم ٢٤ تموز – يوليو – ١٧٧٦ . وذكر فيه ما يلي :

«ليس هناك ما هو أكثر رخصاً أو أكثر ملاءمة من هذا اللباس ، وهو يضمن للجندي الدفء في الطقس البارد والبرودة في الطقس الحار ، وذلك بارتداء الثياب

المختلفة تحت قميص الصيد مما لا يغير من المظهر الخارجي للجندي في الصيف أو في الشتاء . وعلاوة على ذلك ، فإن هذا اللباس الموحد لا يترك أي مجال للخطأ عند الاختلاط أو الصدام مع العدو ، إذ يبقى كل جندي مميزاً بصورة كافية .

ويفضل الجندي بعد ارتداء السترة الموحدة – الجاكيت – وبصورة خاصة جندي المشاة ، أن تكون ثيابه ملائمة له في المعسكر وفي ميدان القتال في وقت واحد . وهذه القمصان مميزة ببساطتها المتناهية وسهولة تصميمها ، بحيث يستطيع الرجال صنعها بأنفسهم إذا ما تطلبت الضرورة ذلك .

ويمكن صناعة هذه القمصان من مواد مختلفة ، كالجلد المقلوب الذي يعتبر من أفضل المواد المتوافرة ، كما يمكن استخدام الكتان أو الأقمشة المصنوعة محلياً . وتترك قضية ترك أهداب السترة لرغبة الأفراد . ولو أن بعض الوحدات ترغب في توحيد هذه الأهداب . وللتمييز بين الكتائب يمكن صباغة القمصان بألوان مختلفة ، كالأسود والأزرق والبني والأخضر والأبيض والأصفر – ويحظر استخدام اللون الأحمر» .

توافرت بعد ذلك الألبسة الموحدة بكميات كافية ، واختارت كل ولاية من الولايات مجموعة كبيرة من الألوان . وعند ذلك تم اختيار اللون البني بصورة رسمية . كلون موحد للجيش الاتحادي . واستمر ذلك إلى أن أصدر جورج واشنطن أمراً تم تعميمه على القوات كلها بتاريخ ٢ تشرين الأول – اكتوبر – ١٧٧٩ ، وبموجبه استبدل اللون البني باللون الأزرق مع ياقة تمتد على طرفي السترة – الجاكيت – ذات ألوان مختلفة لتمييز جند الولايات بعضها عن بعض ، فكانت ألوان هذه الياقات المستطيلة كالتالي :

اللون الأبيض لولايات : «نيوهامشير ومسوشوسيت وورود إيلاندو وكونيكتيكوت» .

اللون الأصفر البرتقالي لولايتي : «نيويورك ونيوجرسي» .

اللون الأحمر لولايات : «بنسلفانيا وديلاور وماريلاند وفرجينيا» .

اللون الأزرق مع بطانة بيضاء – حاشية – تقلب وتثبت بأزرار وعرى – لولايات : «جورجيا ، وشمال كارولينا وجنوب كارولينا» .

تم بعد ذلك استبدال البنطال الضيق والجوارب الطويلة بثوب متصل (أوفر فراول) وكاسية للساق (الطماق). وكانت تصنع هذه من جلد الأيل، أو من الكتان أو القطن المدعم، وكانت كاسية الساق تأخذ شكل الساق لتوضع من فوق الرسغ وتثبت بأربعة أزرار. وكان كساء الأقدام الحذاء - يعتمد على الخف - أو الحذاء الذي لا كعب له والمصنوع من الجلد الناعم. وبالإضافة إلى هذا الحذاء، كان يستخدم حذاء بسيط ومتين يتجه طرفاه نحو الأعلى من الجانب ليتصلان في الأمام والأعلى بأنشوطة عريضة من الجلد والتي كانت تثبت الحذاء على القدم بقوة، وليست مجرد زينة. ولم يكن الأمريكيون في تلك المرحلة يهتمون بصنع زوج من الأحذية. فقد كانت كل فردة حذاء مماثلة تماماً للأخرى بحيث يمكن تغيير الواحدة ونقلها من قدم إلى قدم أخرى يومياً لتجنب اهتراء فردة الحذاء على حساب الأخرى. وقد أصدرت القيادة العليا مجموعة من الأوامر تتعلق بصباغة الأحذية ودهنها بالشمع.

لم يكن تنظيم المشاة ثابتاً في جيش جورج واشنطن، بمعنى أن تحديد أو ذكر السرايا أو الكتائب يجب أن لا يفهم منه عدد محدد من الأفراد أو الامدادات لعدد معين من الألبسة والتجهيزات.

وقد اجريت محاولات لضبط عدد الافراد في كل سرية أو كتيبة، غير أن هذه المحاولات لم تحقق نجاحاً كبيراً، وبقيت شخصيات القادة وشهرتهم سبباً في بروز اختلافات كبيرة بين حجم الوحدات المقاتلة. وعلى سبيل المثال، ففي معركة «تيكونديروغا» كان عدد أفراد سرية «غرين» الجبلية بقيادة ايتان آلن، تزيد على ثلاثمائة مقاتل.

وكان يتم تجنيد الميليشيا في الولايات من كل الرجال القادرين على حمل السلاح ممن تتراوح أعمارهم بين السادسة عشرة والستين عاماً. وكان يتم الاعتماد على الذكور من السكان بأكثر مما يعتمد على أي من العناصر أو الهيئات الأخرى ؟؟.

وكانت سرية الرماة المشاة من فرجينيا بقيادة دانييل مورغان تضم ٩٦ مقاتلاً في شهر تموز - يوليو - ١٧٧٥. في حين وصلت سرية كامبل في سنة ١٧٨١ إلى قوة (٦٠٠) مقاتل. وعندما عمل مورغان على زيادة حجم قوة الرينجر - من مهرة الرماة في سنة ١٧٧٧، لم تتجاوز قوة هذه السرية (٣٣٠) مقاتلاً.

بقيت السرايا (أو الفصائل، حيث لم يكن هناك فارق كبير أو مميز بين مضمون التسميتين خلال تلك الفترة) وهي تتكون من ٢٥ إلى ٥٠ رجلاً، ويضم الفوج

مجموعة من السرايا فيصل مجموع أفراد القوج إلى (٢٠٠) مقاتل . والفصيل ، بصورة عامة ، هو الوحدة النارية ، أما السرية فهي الوحدة الإدارية .

وكان الفوج هو وحدة المشاة الأساسية في الجيش الاتحادي بعد إعادة التنظيم في سنة ١٧٧٦ . ويضم الفوج ثماني سرايا قوة السرية (٩٠) رجلاً فتكون قوة الفوج (٧٢٠) مقاتلاً تقريباً.

وعندما بدأت قيادة الجيش الاتحادي بتنظيم الألوية ، أصبح اللواء يضم كتيبتين أو ثلاث كتائب .

وكانت قيادة اللواء تسند إلى ضابط برتبة عقيد أو مقدم – في الأحوال الطبيعية – ويعمل في قيادة اللواء هيئة أركان فيها رائد ومساعد وعناصر قيادة ورقيب ورئيس مالي ونقيب وطبيب جراح ومساعدين اثنين لكل سرية .

حمل الضباط شارات مختلفة للدلالة على رتبتهم أو سلطتهم . بينما حمل بعض الضباط ممن سبق لهم أن خدموا في الجيش البريطاني ، شعار الدولة (الطوق على العنق) من الذهب أو الفضة . غير أن هذا التقليد لم يحظ باهتمام القيادة عند إعادة تنظيم الجيش الاتحادي ، فلم يلبث أن تضاءل وتلاشى.

وكان الأسلوب العملي الذي يعتمده البريطانيون ، هو لبس نطاق حريري طويل يتم وضعه على الوسط (الخصر) بصورة مستمرة. وكان الضباط جميعاً يحملون السيوف ، أما اغماد السيوف وحمائلها فقد تكونت من أحزمة بيضاء أو سوداء يتم بواسطتها تعليق السيوف على الوسط أو على الأكتاف .

استعمل الضباط الأعوان وصف الضباط في الجيش الاتحادي الرماح ، ذات الأنواع المختلفة جداً والأطوال المتباينة كثيراً ، غير أن النموذجين الأكثر شيوعاً كانا الرمح القصير ، والرمح الفأس . وكان الإثنان رمزاً مميزاً للرتبة أو السلطة بقدر ما كانا سلاحاً للقتال. هذا وقد فضل المقاتلون الرماح على البنادق ، نظراً لأنها لا تحتاج للتلقيم وإطلاق النار ، الأمر الذي يصرف أنظار القادة عن مراقبة جنودهم والسيطرة عليهم .استخدم الرمح القصير أيضاً في الميدان –كما يستخدم في الوطن – رمزاً للرتبة إذ يتم نصبه في الأرض أمام خيمة الضابط أومنزله ،هذا إلى جانب الإفادة منه في الليل لتعليق المصباح أو المشعل عليه .

أصدرت قيادة الجيش الاتحادي أوامر مشددة إلى الجند النظاميين وفي مناسبات عديدة ، من أجل اداء التحية للضباط ، حتى في الميدان وفي خطوط القتال ، وفقاً للأسلوب البريطاني . وكان الجنود الحاملون لأسلحتهم يواجهون

ضباطهم بوضع تنكب السلاح – على الكتف – . وإذا كان الضابط يحمل سلاحه فإنه يرد على التحية برفع قبعته بيده اليسرى في حركة دورانية . أما الجنود الذين لا يحملون سلاحاً ويضعون على رؤوسهم القبعة ذات الزوايا الثلاث . فإنهم كانوا يؤدون التحية بمثل ما يؤديها الضباط على نحو ما سبق ذكره ، غير انهم كانوا يرفعون القبعة باليد اليمنى . وإذا كان الجندي من «المشاة الخفيفة» ويضع قبعة على رأسه ، فإنه يؤدي التحية باليد اليمنى على طريقة الاداء في الجيوش الحديثة – اليوم – ويجيب الضابط برد التحية على نحو ما سبقت الإشارة إليه . غير انه يحيي باليد اليمنى عندما لا يكون مسلحاً .

ضم الجيش الاتحادي عدداً كبيراً من الزنوج الذين خاضوا غمار الحرب إلى جانب الأمريكيين . وكان معظم هؤلاء من العبيد الذين قدموا للجيش من أجل الخدمة أو للعناية بالخيل ومساعدة أصحابهم البيض .

وخاض بعضهم غمار القتال كتابعين لسادتهم أو أصحابهم ، الذين كانوا يعتبرون ان قضية الحرب هي قضيتهم الخاصة . كما انضم إلى الجيش الاتحادي عبيد من كل الولايات اعتماداً على وعود بمنحهم حريتهم .

ويقال ان جورج واشنطن رحب بتجنيد العبيد في الجيش غير أن وعده بمنح الحرية كان وعداً غامضاً . وتجدر الإشارة إلى أن كتيبة الزنوج التي قاتلت بقيادة «غرين» قد أكدت كفاءتها القتالية العالية ، وميزت نفسها عن بقية الوحدات الأمريكية في معركة «رود ايسلاند» في شهر آب – اغسطس – ١٧٧٨ . حيث تمكنت هذه الكتيبة من احباط هجوم القوات البريطانية وتدمير قواته . كما سجل عدد كبير من العبيد ، وفي مناسبات كثيرة ، بطولات فردية رائعة . ولقد خدم العبيد في سلاح المشاة لمدة ستة أعوام – أي طوال فترة الحرب – وكانوا يعملون بصورة أساسية خلف الخطوط البريطانية ، ويقومون بالاغارات المباغتة ويوجهون الأعمال الهجومية . وعلى الرغم من هذا المجهود الحربي فإن امريكا لم تعترف للعبيد ببطولتهم إلا في سنة ١٧٩٢ عندما اعترفت لهم الحكومة بحقهم في الحرية .

ويذكر ان زنجياً اسمه «شورتليف»(*) تطوع في الجيش خلال المرحلة الأخيرة

(*) شورتليف : (**SHURTLIFF**) .

من الحرب ، ولم يتلق أي راتب أو مكافأة أو تعويض ، فأخذ يطالب بحقه طوال تسعة أعوام . وعندما تقرر منحه المكافأة تبين أنه لم يكن في الحقيقة إلا امرأة اسمها «ديبورا جانيت»(*) وعند اكتشاف هذه الحقيقة ، دفعت لها المكافأة دونما اهتمام . وتلقت في الوقت ذاته تنويهاً لشجاعتها الباسلة التي مكنتها من التنكر بصورة سرية وجيدة طوال هذه الفترة .

يذكر أيضاً ان هناك وحدة من الزنوج الأحرار من هاييتي ، تضم (٥٠٠) مقاتل ، وفدت إلى أمريكا لدعم الثورة . وقامت بالانزال في «سافانا» سنة ١٧٧٩ . وكان من بين أفرادها رقيب أسود اسمه «هنري كريستوف»(٣١). وقد تم احباط عملية الانزال ، وقام هنري كريستوف ببطولة رائعة في قيادة حرس المؤخرة . وقام «كريستوف» بعد ذلك بدور قيادي بارز في القضاء على الوجود الافرنسي في «تاهيتي»(٣٢) وأصبح رئيساً للقسم الشمالي في سنة ١٨٠٧ ثم ملكاً سنة ١٨١١ ، غير انه كان طاغية فثار عليه شعبه – بتحريض فرنسي دونما ريب – . وكان «كريستوف» مريضاً ففضل الموت على الوقوع في قبضة خصومه ، وانتحر بيده .

كان الهنود الحمر عنصراً آخر من العناصر التي كان لها دورها في مسيرة حرب

(*) ديبوراجانيت : (DEBORAH GANNETT) .

(٣١) هنري كريستوف : (CHRISTOPHE HENRI) ملك زنجي هاييتي ، ولد في غروناد (GRENADE) من جزر الانتيل (١٧٦٧ – ١٨٢٠) وقد بقي ملكاً تسع سنوات (١٨١١ – ١٨٢٠) .

(٣٢) هاييتي : (HAÏTI) بلاد جبلية ، وهي إحدى جزر الانتيل الكبرى ، تقع إلى الشرق من كوبا . وتقسم إلى دولتين مستقلتين ، جمهورية هاييتي إلى الغرب ومساحتها (٢٨) ألف كيلومتر مربع ، ولغتها هي اللغة الافرنسية . عاصمتها بورت أو برانس (PORT-AU-PRINCE) وأشهر مدنها الرأس الهاييتي . وليغونايف وليكاييه . ثم الشاطئ الشرقي وهو مقطع جداً وله تعاريج حادة وتقع بين السلسلة الجبلية والساحل أراض زراعية تنتج القهوة والكاكاو والقطن والسكر والثمار . اما الدولة الثانية فهي «جمهورية الدومينيكان» وتقع إلى الشرق . ويذكر ان الرحالة كريستوف كولومبس هو الذي اكتشف هذه الجزيرة سنة ١٤٩٢ . وأطلق عليها اسم «هسبانيولا» (HISPANIOLA) . وأصبح قسمها الغربي «هاييتي» تابعاً لفرنسا بموجب معاهدة ريزويك (RYSWICK) سنة ١٦٩٧ . ثم ضم القسم الشرقي «الدومينيك» بموجب معاهدة بال ١٧٩٥ . وأصبحت الجزيرة دولة مستقلة بعد ثورتها سنة ١٨٠٤ واختارت النظام الجمهوري . في حين لم تستقل الدومينيك عن اسبانيا إلا في سنة ١٨٤٤ ، وأصبحت جمهورية .

الاستقلال . وكان المستعمرون ينظرون إلى سكان البلاد الأصليين كأعداء ألداء يجب استئصالهم دونما تأخير أو إبطاء . وكان الهنود الحمر من جانبهم ينقمون على المستعمرين تدفقهم المستمر إلى أراضيهم ، وعلى الرغم مما نزل بهم من ظلم على أيدي هؤلاء المستعمرين ، فقد احتفظوا بولائهم للبريطانيين ، ولأبيهم «الملك جورج الثالث» .

وكانت الثورة بالنسبة لهم تعني الهجوم على السلطة الوحيدة التي يعترفون بها ويدينون لها بولاء صادق .

غير ان السياسة البريطانية تجاههم كانت غبية جداً ، وكان ذلك من حسن حظ الأمريكيين .

إذ لو عمل القادة البريطانيون – الجنرالات – على وضع استراتيجية شاملة تعتمد على تنظيم هجمات مشتركة على امتداد ساحل البحر مع هجمات مماثلة في الوقت ذاته عبر الحدود ، وباشراك القبائل الهندية تحت قيادة ضباط لهم خبراتهم ، لكان باستطاعة هؤلاء الهنود تشكيل عامل حاسم في القضاء على الثورة . لا سيما وان الأكثرية الساحقة من الأمريكيين قد حافظوا على ولائهم مع البريطانيين . كما كان الهنود مصدر رعب للأمريكيين في كل مناطق الحدود . غير أن غياب التنظيم الشامل لم يساعد البريطانيين على استثمار القدرات المتوافرة على مسرح العمليات طوال فترة الحرب .

نتيجة لذلك ، كان باستطاعة الأمريكيين اتخاذ قرارهم لضرب قاعدة الرعب في وسط المناطق الهندية .

وفي سنة ١٧٧٩ ، أعطى جورج واشنطن تعليماته إلى الجنرال «سوليفان» باجتياح مناطق استيطان الهنود الحمر ، واقتياد من يبقى منهم على قيد الحياة للاحتفاظ بهم كرهن «رهائن» . وانطلق سوليفان لتنفيذ مهمته . وبضربة واحدة أحرق بقسوة وحشية المحاصيل الزراعية لإحدى وأربعين منطقة كانت مستقراً للهنود الحمر . وقضى عدد كبير من الهنود نحبهم في الشتاء ، بعد أن افلتوا من أسر القوات الاتحادية . وارغمت قبائل «الايروكواز»[٣٣] على التراجع نحو التحصينات والقلاع

---

(٣٣) الايروكواز : (IROQUOIS) مجموعة من قبائل الهنود الحمر ، كانوا يقيمون قديماً إلى الجنوب الشرقي من بحيرات اريه : (ERIE) وأونتاريو : (ONTARIO) وقد اتحدت قبائل الهنود هذه فيما أطلق عليه اسم اتحاد الشعوب الخمسة (CONFEDERATION DES CINQ-NATIONS

البريطانية في محاولة للاحتماء بها . وكذلك فعلت قبائل «مونسيز»[٣٤] و«السينيكاس»[٣٥] في حين أرغم هنود «دولاوار»[٣٦] على الاستسلام دونما قيد أو شرط . وعندما انتهت الحرب ، وانسحب البريطانيون . ترك الهنود الحمر وهم محرومون من كل دعم أو حماية في مجابهة النظام الجديد ، وبدأت عملية القضاء على الهنود الحمر وابادتهم بوحشية ، لم توقفها سوى بعض جهود القادة الأمريكيين .

تجدر الإشارة إلى أن ثلثي سكان الولايات الثلاث عشرة ، والبالغ في سنة ١٧٧٥ ما يقارب (٢,٣) مليون – باستثناء الهنود الحمر – قد حافظوا على ولائهم لبريطانيا حتى الاستقلال ووقفوا بسلبية أو انهم قاوموا قوات الثورة – وهناك (٤٠) ألفاً من بينهم قاتلوا إلى جانب البريطانيين . ويظهر من خلال ذلك انه لولا الدعم الافرنسي ، وبصورة خاصة في مجال القتال البحري – لذهبت جهود جند المشاة هدراً ولما استطاع الجيش الاتحادي تحقيق انتصاراته .

(ب) الفرسان (الخيالة) :

عبر الفارس الافرنسي «دوبونتغيبو» عن انطباعه تجاه فرسان الجيش الاتحادي أيام حرب الاستقلال بقوله :

«قامت القوات بالانزال لضرب حصار على نيوبورت ، في رود ايسلاند ، سنة ١٧٧٨ ، وتقدمتها قوات الميليشيا وقدرت عددها بحوالى عشرة آلاف مقاتل ما بين جنود المشاة والفرسان . انني لم أشهد منظراً مثيراً للضحك – في حياتي – كمثل هذا المشهد . وقلت في نفسي انه لا بد من استنفار كافة الحلاقين والخياطين في الاقليم ، وعلى كل حال ، فإن اهمال الجنود لشعورهم قد أصبح علامة مميزة لهم بحيث باتت أشبه ما تكون باللمة المستديرة فوق رؤوسهم «ويغ أو بوزتيج» مما يسهل عملية التعرف عليهم . كان الفرسان يركبون الافراس الهزيلة ويتجمعون كما لو كانوا قطيعاً من البط

---

(٣٤) مونسيز : MUNSEES

(٣٥) السينيكاس : SENECAS

(٣٦) دولاوار : (DELAWARES) مجموعة من القبائل الهندية ، وإليهم تنسب الولاية التي لا زالت تحمل اسمهم – جنوب الأطلنطي وعاصمتها دوفر (DOVER) . كما ينسب إليهم نهر دولاوار (RIV DELAWAR) الذي يمر بولاية فيلادلفيا ويصب في خليج دولاوار.

في قفص من الأحزمة المتقاطعة . ولم يكن حال المشاة بأفضل من حال زملائهم الفرسان ، وظهروا بمجموعات لها نفس شكل الفرسان . وخيل إلي أن هؤلاء المحاربين كانوا يهتمون بالبحث عن الطعام أو المواد التموينية بأكثر من اهتمامهم بمنازلة العدو . ولم يكن هذا الظن خاطئاً . إذ لم يلبثوا أن اختفوا من قبل أن تبدأ المعركة » .

لم يكن جورج واشنطن يعتقد بأهمية استخدام الخيالة في الأعمال القتالية التي كان يوجهها ويقودها . وقد يثير ذلك الاستغراب بالنسبة لرجل ، كان هو نفسه يفخر بأنه يملك أفضل الخيول ، ثم يعامل الخيول –كمادة خام أولية– بالازدراء والاستخفاف . وهكذا لم يستخدم الطرفان المتصارعان الفرسان (الخيالة) على نطاق واسع .

وكان النموذج الوحيد الذي استخدم فيه الجنود خيولهم هو « الدراغون » أو « الدراغون الخفيفة » . وكان الجنود يستخدمون الخيول للقتال ، اما راكبين أو راجلين ، أما الخيالة الثقيلة أو الخيالة المدرعة فإنها لم تستخدم في الحرب .

وكانت واجبات الخيالة تشتمل على أعمال الاستطلاع والاغارات والدوريات والمراكز المتقدمة وواجبات الحماية للقوات المتحركة والمتمركزة بالإضافة إلى البحث عن الهاربين . وكان الأمر العملي أثناء المسير انضمام الخيالة إلى المشاة الخفيفة ، كجزء من الطلائع «حرس المقدمات» . أما في المعركة فغالباً ما كان يتم تمركزهم في الوضع التقليدي (الكلاسيكي) على أجنحة القوات ، وتسند إليهم أعمال حماية المؤخرات أثناء التراجع والانسحاب ، ولقد عملت قيادة الجيش الاتحادي على تكوين وحدات جديدة من الخيالة ، غير أن النقص في الأسلحة وفي التجهيزات ، وقبل كل شيء بالخيول ، جعل حركة هذه الوحدات بطيئة وأقل مرونة مما يجب أن تكون عليه حركة الخيل بصورة طبيعية – أو نظامية – وقد حاول «فون شتيبن» في سنة ١٧٨٠ التغلب على هذه الصعوبة . فشكل تنظيماً مختلطاً من « الدراغون » و « وحدات المشاة الخاصة » بمهمة حراسة المراكز المتقدمة للمشاة ، والتي ينطلق منها الفرسان في عملياتهم . وقد عرف هذا التنظيم المختلط باسم « الليجيون » . غير أن الافتقار للخيول جعل من الصعب على وحدات هذا التنظيم مطاردة العدو المنهزم ، وذلك وفقاً لما برهنت عليه تجربة « هوا » بعد انتصاره على القوات الانكليزية في معركة « براندواين » .

كان التسليح النظري لفرسان «الدراغون» يشتمل على الغدارة «كارابين» ومسدس أو مسدسين ، وسيف . أما من الناحية العملية ، فكان تسليح هؤلاء الفرسان متنافراً جداً ومختلفاً تماماً ، ويضم أنواعاً عديدة منها أسلحة الصيد ومنها الأسلحة التي يتم الحصول عليها من البريطانيين «الغنائم» بالإضافة إلى ما كانت ترسله فرنسا واسبانيا لجيش الثورة. وفي سنة ١٧٧٨ ، أعلم جورج واشنطن قائد وحدات الدراغون «مويلان» بأنه من الصعب الحصول على السيوف والغدارات والمسدسات لتسليح الفرسان ، وكذلك الأمر بالنسبة للألبسة التي لم يتم تأمين الامداد بها إلا في سنة ١٧٧٩ حيث صدر الأمر العام – التعميم – بالزام فرسان الدراغون الخفيفة بارتداء المعاطف القصيرة الزرقاء ذات الياقة الكتانية البيضاء والأزرار البيضاء . وفي نهاية سنة ١٧٨٢ أصبح فرسان الجنوب يفتقرون كثيراً لصناديق الذخيرة والمسدسات ، بينما افتقر ثلث الرجال لأجفان سيوفهم . وقد أدى الفقر العام في موارد الجيش الاتحادي إلى تقنين المتطلبات الأساسية وهي الخيول الجيدة . إذ كانت هذه الخيول نادرة الوجود وذات اثمان باهظة . وزاد من سوء حالة خيول الجيش عدم توافر العلف المناسب لها .

بقي الفرسان محافظين على ارتداء نماذج متباينة من لباس الرؤوس ، حتى عندما توافر لهم امداد منتظم بكميات كافية من الألبسة . كانت القبعة ذات الزوايا الثلاث وذات الأنشوطة هي القبعة النظامية – النموذجية – وان بقي إلى جانبها خوذ جلدية نصف كروية مع تباين في لون الانشوطة الحريرية . وكان لهذه الخوذ نتوء يعلوها وواقية في مقدمتها – على شكل هلال – ورباط مصنوع من الفرو أو من شعر ذيل الخيول . وقد استخدم هذا الرباط – علاوة على وظيفته التزيينية – للوقاية من الضربات التي قد تقع على الرأس أو على العنق ومؤخرة الرأس . ويذكر أن لواء الفرسان البريطاني الذي قاده «تارلوتون» كان يرتدي خوذا مماثلة على حين اشتهر فرسان الدراغون الخفيفة في «بينيسولا» بخوذهم الأنيقة خلال فترة ما قبل سنة ١٨١٢ – والتي ارتداها أيضاً رجال مدفعية الفرسان الملكية . ومع اقتراب حرب الاستقلال من نهايتها ، بدأ **الأمريكيون** بتبني الخوذ النحاسية الافرنسية والتي كان تصميمها مشابهاً للخوذ الرومانية القديمة .

كان من المسموح به لكل فارس الاحتفاظ بمخزون فردي من الألبسة يضم

خوذة للرأس ومعطفاً وزوجاً من البناطيل – جمع بنطال – الضيقة من الكتان الأبيض أو من الجلد، وزوجين من الجوارب الطويلة أو كاسيات الساق وثلاثة أزواج من الأحذية، وشملت تجهيزات الفارس سرجاً للركوب وأحزمة وصرعا «أحزمة قيادة الحصان وتوجيهه» وسوطاً جلدياً مع أحزمة متصالبة وقراباً للمسدس وحوامل للأسلحة.

كانت «الكتافات» هي الشارات المميزة للضباط في الأسلحة الثلاثة، المشاة والفرسان والمدفعية، وكانت هذه الكتافات ذهبية أو فضية ذات اهداب متدلية من الخيوط أو الأسلاك المعدنية كالتالي:

* الضباط الاعوان: كتافة واحدة توضع على الكتف الأيسر.
* الضباط من رتبة نقيب: كتافة واحدة توضع على الكتف الأيمن.
* الضباط من رتبة رائد: زوج من الكتافات على الكتفين.
* الضباط من رتبة مقدم وعقيد: زوج من الكتافات ذات مقياس أكبر من الكتافات للرتب الأقل.
* الضباط من رتبة عميد: نجمة على كل كتافة من الكتافتين.
* الضباط من رتبة لواء: نجمتين على كل كتافة من الكتافتين.

وفي مجال ممارسة القيادة، بقي الصوت هو وسيلة السيطرة على الجنود بواسطة البوق أو الطبل، وذلك على نحو ما كانت تستخدمه معظم قوات الفرسان – الراكبة – في الجيوش الأوروبية خلال تلك الحقبة. وكان الجنود يحملون رايات الوحدات والاعلام الوطنية للولايات، سواء للعرض والاستعراض أو في ميادين القتال، وكانت هذه الأعلام والرايات متباينة في مقاييسها، مختلفة جداً في ألوانها وأشكالها.

تميزت وحدتان – بصورة خاصة – من بين مجموعة وحدات الفرسان. أولاهما هي وحدة «هنري لي» والثانية هي وحدة «ويليم واشنطن»، وهما من وحدات الفرسان

الخفيفة والسريعة . وقد اكتسب «هنري لي» شهرة واسعة بنتيجة غزواته ، والتي كان من أبرزها استيلاؤه علىٰ موقع «باولوس هوك» المقابل لمدينة «نيويورك» في شهر آب – أغسطس – سنة ١٧٧٩ . وفي الواقع فإن النصر في هذه المعركة لم يكن نصراً تكتيكياً – تعبوياً – عظيماً ، إلا انه استخدم لدعم الروح المعنوية للأمريكيين من جهة . كما استخدم أيضاً لابراز تطور المهارات في قوة الفرسان . وكان لواء «لي» في كانون الأول – ديسمبر – ١٧٨٠ يضم (٣٠٠) مقاتل تقريباً . وكان أفراد هذا اللواء يرتدون زياً موحداً ، ومسلحين بصورة جيدة ، وذكر انهم كانوا على درجة عالية من الانضباط ، ويتميزون بكفاءتهم في الاغارات وأعمال الاستطلاع .

أما وحدة فرسان «ويليم واشنطن» شقيق جورج واشنطن . فكانت تعمل مع جيش الجنوب الذي كان يتولى قيادته «غرين» وذلك في شهر كانون الأول – ديسمبر – ١٧٨٠ . ووصلت قوته في هذه الفترة إلى (٩٠) فارساً من أصل (١٦٠٠) فارس ، كان نصفهم فقط مسلحين ومجهزين بصورة جيدة . وقد حافظوا على روحهم المعنوية العالية ، بالرغم من انهم وصلوا إلى مرحلة من البؤس لا يمكن وصفها .

وقد برزت هذه الروح المعنوية بعد شهر من ذلك «في كانون الثاني – يناير – ١٧٨١» حيث اشترك فرسان العقيد ويليم واشنطن مع قوات الهجوم على موقع «حنا كاوبن» وكان لهم دورهم البارز في الحاق الهزيمة بالقائد البريطاني الشهير «تارلوتون» في معركة تصادمية تقليدية – كلاسيكية – وقد تم ذلك بعد أن مزقت نيران المشاة الأمريكيين التنظيم القتالي للقوات البريطانية وتدخلت قوات الفرسان للاجهاز عليها .

عندما نظم الجنرال «غرين» قواته في معركة «غيلفوردكورت هاوس» في ١٤ – آذار – مارس – ١٧٨١ . ضم إليه قوتي الفرسان اللتين يقودهما «لي» و «واشنطن» . ووضعهما بحسب الطريقة التقليدية – الكلاسيكية – على طرفي خط القتال المقعر ، وفي منطقة مكشوفة واسعة . ولم يكن الجنرال غرين راغباً في المجازفة بزج كل قواته في معركة واحدة . ولهذا فقد احتفظ بالقسم الأكبر من قوات الخيالة أثناء المعركة المضطربة والغامضة . وعندئذ انقذ البريطانيون قوات مشاتهم بواسطة قصف مدفعي وحشي في الثغرات التي أصابت قوات الأصدقاء وقوات الاعداء على حد سواء .

وأدى ذلك إلى اضطراب كبير في القوات الأمريكية ، وهنا قام الفرسان بدورهم الحاسم في المساعدة على حماية انسحاب قوات «غرين» وتأمين تراجعها بنظام تام .

هذا ، وقد عملت خيالة واشنطن في معركة «هوبريك هيل» على القيام باستدارة كبيرة من أجل الوصول إلى مؤخرة قوات «رودون» غير انها اضطرت للتوقف عندما اصطدمت بسهوب كثيفة تغطيها محطومات الأشجار ، واضطرت بالتالي للقيام باستدارة أكثر بعداً لتجنب هذه المنطقة ، والتفت من حول بعض الوحدات البريطانية المتناثرة . وفي المرحلة الأخيرة ، أصبح باستطاعة هؤلاء الفرسان اقتحام ميدان القتال ، وانقاذ مدفعية «غرين» التي كادت تسقط في قبضة القوات البريطانية .

اعيد تنظيم قوتي «لي» و «واشنطن» بعد سنة ١٧٨٢ ، ودمجتا في تشكيل قتالي واحد ، في منطقة شارلستون ، واقتصرت واجبات الفرسان عندئذ على مناوشة الزمر البريطانية التي كانت تحاول ارتياد الاقليم بحثاً عن العلف.

وأخيراً ، لا بد من القول ان هناك بعض الباحثين الذين لا زالوا يتمسكون بوجهات نظر الاقدمين ممن عاصروا تكوين الجيش الأمريكي في بداياته الأولى ، وتتلخص وجهات النظر هذه : بأن وحدات الفرسان لم تكن على نحو ما توقعه لها قادتها ، وانها أكدت عجزها عن تنفيذ ما كان يجب عليها تنفيذه .

(ج) المدفعية :

لم تكن القوات الاستعمارية في أمريكا تمتلك قبل سنة ١٧٧٥ إلا القليل من المدفعية ، ذلك أن طبيعة الاقليم وما به من غابات كثيفة ، بالإضافة إلى طبيعة الأعمال القتالية على الحدود –كحرب عصابات– جعلت استخدام المدفعية عديم الجدوى ومحدود الفائدة . وكانت المدفعية الملكية في الجيش النظامي البريطاني قد عملت على نطاق واسع في حرب (السبع سنوات) على المسرح الأوروبي ، وبرهنت على كفاءتها العالية .

وتشكلت في الولايات الثلاث عشرة الأمريكية وحدات غيرنظامية من المدفعية ، كان من أقدمها شهرة ، سرية مدفعية مسشوستس ، إذ يعود تاريخ تنظيمها إلى ما قبل مائة وخمسين سنة من انفجار حرب الاستقلال ، حيث كان الجيل الأول من

المهاجرين المزارعين مرغمين على ضمان أمنهم ضد هجمات الهنود الحمر واغاراتهم . ولهذا فقد عمل بعض أفراد سرية مدفعية لندن الشهيره على تنظيم هيئة عسكرية جديدة في بوسطن تتشابه في تكوينها مع سرية المدفعية التي كانوا ينتسبون إليها . ومع مرور السنين عرفت السرية الجديدة وجوهاً كثيرة ممن خدموا فيها ، كما تلقت دعماً قوياً ساعدها على شراء أسلحة وعربات مصفحة (مدرعة) وعلى تصنيع قواعد لإطلاق نيران المدافع (أرضيات) . وزيادة على ذلك ، فقد عملت هذه السرية لسنوات طويلة على منافسة سرية لندن – القريبة لها – عن طريق تقديم عدد كبير من الضباط لكتائب الميليشيا في «نيوانجلند» – أو الولايات الأمريكية الجديدة .

عقد مؤتمر الولايات الأول (الكونغرس) في أيلول – سبتمبر – ١٧٧٤ . وذلك خلال الفترة التي أدت إلى تفجر الأعمال العدوانية ، وضم هذا المؤتمر في «فيلادلفيا» عدداً كبيراً من الرجال ، كان بينهم : جون هانكوك وصاموئيل آدامز وبول ريفيرت . والذين بدأوا بالتعاون مع مواطنين آخرين في ولاية مسشوستس لوضع مخطط هدفه تنظيم مجموعة من المخازن العسكرية التي ضمت بعض المدافع في اقليم كونكورد .

وكانت هذه هي المحاولة الأولى للثوار من رجال المستعمرات ، من أجل تنظيم المدفعية . وقد بذلت السلطة البريطانية جهوداً للاستيلاء على هذه المدافع ، غير ان الثوار الأمريكيين نجحوا في احباط هذه الجهود ، مما أدى بالتالي إلى انفجار الحرب .

قام الثوار الأمريكيون بعد ذلك بمحاولة ثانية كان لها نصيب أكبر من النجاح . ففي ١٠ أيار – مايو – ١٧٧٥ . انطلقت قوتان للثوار من ولايتين مختلفتين ، الأولى من «غرين ماونتن بوي» – اقليم ميرمونت ، بقيادة ايتان ايلين ، والثانية من كونيكتيكوت بقيادة بينيديكت ارنولد واغارتا بصورة مباغتة على قلعة «تيكونديروغا» الحصينة والقديمة ، ونجحتا في الاستيلاء عليها – وهي تقع على الطرف الجنوبي من بحيرة شامبلين . وقد كان لهذه القلعة أهميتها الاستراتيجية ، غير ان الاستيلاء على القلعة ضمن – بالإضافة إلى ذلك – امداد الثوار بمخزون ضخم من البارود والذخائر وستين مدفعاً بحالة جيدة ومن عيارات مختلفة . وكانت هذه الغنيمة هي البداية الحقيقية لتكوين مدفعية الجيش الأمريكي .

كان «هنري كنوكس» واحداً من أوائل الضباط الذين خدموا في سلاح المدفعية ، ووصل إلى رتبة عقيد ، وكان من قبل يعمل بائع كتب في «بوسطن» وأصبح يعرف اليوم بسبب تسمية قلعة تنسب إليه والتي ضمت ملايين الدولارات التي لا تعد ، علاوة على بليون قطعة ذهبية من احتياط النقد الاتحادي . وهناك شخصية أخرى خدمت في المدفعية ، وهي شخصية «بول ريفير» الذي كان يقود المدفعية أثناء معركة «بينو بسكوت» . كما اشتهرت السيدة «ماري لودفيج هايس» أثناء حرب الاستقلال ، كواحدة من أبرز أبطال المدفعية ، وكانت هذه السيدة تقيم في المعسكرات ، مرافقة لزوجها حيثما تنقل ، وأينما اتجه ببطاريته . وقد عانت مع زوجها قسوة الشتاء في سنة ١٧٧٧ — ١٧٧٨ بعد معركة «فالي فورج» الطاحنة . ووقفت إلى جانب زوجها في معركة «مونماوث» . حيث عملت في حرارة ذلك اليوم اللاهب على حمل أباريق الماء لارواء ظمأ العطاشى من رجال المدفعية ، وعندما انهار زوجها تحت ثقل الاعياء والحرارة ، حلت محله ، وخاضت المعركة وهي تعمل على تلقيم المدافع مع السدنة من الرجال .

وحفظت وثائق حرب الاستقلال مجموعة لا نهاية لها من أقاصيص البطولات التي سجلها الزنوج أثناء خدمتهم في سلاح المدفعية . ومن بينها قصة الزنجي «أدوارد هيكتور» الذي كان متطوعاً في وحدة مدفعية البنسلفانيين الثالثة ، والذي خاض مع وحدته معركة «براندواين» . وعندما أخذت القوات الأمريكية بالتراجع والانسحاب ، تلقى «ادوارد» أمراً بترك عربة الذخائر ، غير أن هذا رفض تنفيذ الأمر ، وقام في وسط مناخ المعركة المضطربة والغامضة بنقل حمولته الثمينة إلى المؤخرة . ليس ذلك فحسب ، بل انه كثيراً ما اضطر للتوقف من أجل التقاط وجمع البواريد التي تخلى أصحابها عنها . ولم تعترف الدولة بحقه في الحصول على راتب تقاعدي إلا بعد وفاته بأربعين سنة ، حيث تم في سنة ١٨٣٢ تخصيص مبلغ (٤٠) دولاراً اعترافاً بنصيبه في الصراع من أجل الاستقلال . وهناك قصة أخرى لبطل زنجي اسمه «اوستن دابني» سجل بطولته في معركة «كيتل غريك» التي جاءت بعد هزيمة القوات الأمريكية في «سافانا» . وقد صمد «أوستن» واصيب بجراح بالغة وهو يعمل خلف مدفعه ، واستمر على الرغم من ذلك حتى مات . وانقضت فترة اثني وأربعين عاماً قبل أن تعترف له الدولة ببطولته . فقدمت لورثته أرضاً مساحتها (١٠٠) اكر (*) بالإضافة إلى راتب من خزينة الاتحاد .

لقد بدأ تنظيم المدفعية وفقاً للأسلوب الأوروبي ، وبصورة خاصة البريطاني في بداية الأمر . وكان الأمريكيون يرغبون في اقتباس أفضل ما يمكن لهم تطبيقه . وتعود تجربتهم وخبرتهم المكتسبة بالدرجة الأولى إلى خدمتهم في الجيش الاستعماري البريطاني . كما اعتمد تسليحهم عند انفجار الصراع ، على المدافع البريطانية وقد حصل الأمريكيون بعدئذ على مدافع افرنسية حملها سدنتها من المتطوعين الافرنسيين معهم لدعم قوات الثورة . وبذلك توافرت الفرصة لاكتساب بعض الطرائق الافرنسية وادخالها إلى الأسلوب الأمريكي .

استخدمت المدفعية الأمريكية أنواعاً مختلفة ذات عيارات متباينة مما كانت تستخدمه المدفعية البريطانية ومما وقع في قبضة الأمريكيين . وكان من جملتها مدافع خفيفة من عيارات (١٢) رطلاً و (٦) أرطال و (٥ $\frac{1}{2}$) انش . وكذلك مدافع هاوتزر خفيفة من عيارات (٢٤) رطلاً و (٣) رطلاً محمولة على عربة . بالإضافة إلى مدافع هاون متوسطة وثقيلة من عيار (١٢) رطلاً و (١٨) رطلاً و (٣٢) رطلاً .

بقي الفارق الرئيسي بين المدافع الخفيفة والمتوسطة والثقيلة ، بصورة عامة ، والتي لها عيار واحد (بالنسبة لقياس جف السبطانة الداخلي) هو الفارق في عربات نقل المدافع . فالمدافع الخفيفة كانت مركبة على عربة ذات عجلتين كبيرتين مما كان يعطيها قدراً كبيراً من المرونة في ميدان القتال . أما المدافع الأثقل فكانت تركب على عربات ذات أربع عجلات صغيرة ، لاستخدامها فى القلاع والتحصينات – الدفاع – إذ لا تحتاج لأكثر من تحرك محدود . وكانت هذه المدافع تتشابه في نماذجها مع المدافع المستخدمة على متن السفن خلال تلك الحقبة التاريخية .

كانت مدافع الهاوتزر – ذات المحرك العالي – هي النماذج المبكرة التي ستترجم عنها تصاميم مدافع الهاون . وكانت لمدافع الهاوتزر هذه عرباتها ذات العجلات الكبيرة ، شأنها في ذلك شأن المدافع الخفيفة ، غير أن مدافع الهاون عادة ما كانت تركب على قواعد خشبية صلبة ، وبدون عجلات . وكانت المقذوفات العادية للمدافع

(*) اكر : (ACRE) مقياس مستخدم في المساحة الأمريكية ويساوي (٤٠٤٧) متراً مربعاً .

ذات الرمي المستقيم هي الكرات المعدنية الصلبة للمسافات البعيدة . وكان يتم تسخين هذه المقذوفات – حتى درجة الاحمرار – عند استخدامها للرمي ضد السفن أو ضد التحصينات الخشبية . أما عندما كانت مسافة الرمي تتناقص عن (٣٥٠) ياردة ، فقد كان يتم استخدام القنابل المنثارة (العنقودية) في حال توافرها . كما كانت تستخدم القنابل المتفجرة من مدافع الهاوتزر والهاون .

لقد تسببت وعورة الطرق بصورة عامة ، وطبيعة الأرض المفتوحة الكثيرة التعاريج ، بخلق الصعوبات في وجه حركة «قطار المدفعية» . وبقيت هذه الحركة بطيئة جداً ، ونوعاً من الأعمال الشاقة . وكان قطر – جر – المدفع الخفيف من عيار (١٢) رطلاً يتطلب عمل ما يزيد على اثني عشر حصاناً . يتم تقييدها بشاحنة (تجر في ذيلها المدفع المربوط بها) أو بما تم تطويره من «عربات السفر» ، والتي ظهرت في مرحلة متأخرة عندما بدأت التطورات الافرنسية في دعم الثورة ، مشتملة في جملة تطوراتها على هو معروف اليوم باسم «عربة المدفع» . ولقد تسبب الافتقار الدائم للخيول بارغام الأمريكيين على تقليد الأسلوب الانكليزي في العمل ، وذلك باستئجار السائقين المدنيين وخيولهم أو ارغامهم على العمل بالاكراه . وقد امتنع هؤلاء دائماً عن الاقتراب كثيراً من مسرح العمليات . مما عنى عادة اقدام سدنة المدفعية على استخدام قوة سواعدهم من أجل دفع المدافع نحو الأمام والوصول بها إلى مواقع العمل . وهكذا استخدم السدنة حبال الجر فيربطونها بخطافات المحاور الخارجية لجرها من الأمام في حين عمل آخرون على استخدام المخل (العتلة) لمساعدة عجلات المدافع على المناورة – من الخلف – .

كانت المدافع تستخدم أحياناً في مواقع دفاعية محصنة يتم إعدادها مسبقاً واعتمد حجم هذه المواقع وقوتها على ما يتوافر من الوقت ، وعلى ما يتوافر أيضاً من اليد العاملة . وقد استخدمت المدفعية الأمريكية اليد العاملة للعبيد الزنوج من أجل حفر مرابض المدافع وتحصين مواقعها . وكان يتم اختيار المواقع الأرضية . وفقاً لأهميتها من أجل حماية المناطق التي تصلح للانزال البحري . أو للدفاع عن محاور الاتصال الأرضية والجسور أو المرتفعات الحاكمة والمشرفة على المدن والأقاليم .

وكانت توضع المدافع أزواجاً بين الكتائب عندما تكون المعركة من النوع التصادمي – الجبهي – بين القوات المتصارعة على ميادين القتال . كما تم وضع

المدافع في مقدمة الصفوف أحياناً ، إذا ما فرضت طبيعة الأرض ذلك . وإذا لم يكن هناك حل تبادلي آخر .

كان معدل الرمي بطيئاً ، إذ كان يتم حشر كيس البارود في أسفل السبطانة ، وتوضع بعد ذلك كرة المقذوف أو كيس المقذوفات «القطع الحديدية» أو الطلقة . ثم يوضع فتيل نحاسي «صاعق» عبر ثغرة خاصة به ، بهدف تفجير كيس البارود . ثم تملأ الثغرة أو الفجوة بالبارود — بمقياس معين — وهذا البارود يحمل عادة بقرن من العاج أو الجلد يعرف باسم «قرن البارود» . وعندما يصدر الأمر بإطلاق النار ، يوضع الفتيل البطيء في قميص الاشعال المتصل بالصاعق «أو فجوة التفجير» . وتشعل النار بالفتيل الذي يفجر الصاعق فتنفجر شحنة البارود وتشكل ضغطاً يدفع بالجسم المقذوف عبر السبطانة ، ويغادر الجسم المقذوف فوهة **السبطانة** ليتجه نحو العدو . وعلى الرغم من وجود ميزان لتعديل ارتفاع السبطانة ، ومقياس لاحكام الاتجاه ، فإن الرمي كان عشوائياً بسبب الاهتزاز الكبير للمدفع ، ويبقى على السدنة الاسراع بعد الرمي ، إلى مقدمة المدفع من أجل ادخال فرشاة معدنية لتنظيف السبطانة من بقايا الطلقة الأولى ، والعمل بعد ذلك على ادخال قضيب آخر يحمل اسفنجة مشبعة بالماء لتبريد جف السبطانة ولإزالة ما يتبقى أيضاً من البارود العالق على جدران جف السبطانة (السطح الداخلي) .

لم يظهر اللباس الموحد في صفوف قوات المدفعية ، أو يصبح عاماً بين أفرادها ، قبل سنة ١٧٧٩ . وكان هذا اللباس يشتمل على القبعة ثلاثية الزوايا ، و (المعطف) (السترة) العادية الزرقاء ذات الياقة العريضة ، والشريط الأحمر القرمزي الذي يمتد من الياقة حتى أسفل طرفي المعطف . وكانت أهداب هذا المعطف وعرى الأزرار على الأكمام وواجهة الصدر مزدانة بتويجات أو حبال (بند) تشير إلى رتبة صاحب المعطف . كما لبس رجل المدفعية ثوباً متصلاً فوق كل ثيابه «أوفراول» مع أزرار عند الطرفين السفليين للأقدام وحذاء أسود وتشابه هذا المظهر العام كثيراً مع مظهر جنود المدفعية في كتائب المدفعية الملكية البريطانية .

اضطلعت المدفعية الأمريكية بدور كبير في معارك حرب الاستقلال . ولعل من أبرز ما قامت بتنفيذه هو دورها في معركة «فورت سوليفان» بالقرب من شارلستون — في حزيران ، يونيو ، ١٧٧٦ — حيث تمركزت قطع المدفعية التي بلغ عددها مائة مدفع تقريباً في مواقع «مولتري» الحصينة ، وأمكن لها الدفاع عن الساحل بكفاءة عالية وتأمين حمايته ، ليس ذلك فحسب ، بل انها نجحت في الصمود أمام نيران

أكثر من ثلاثمائة مدفع كانت تحملها السفن البريطانية . واستطاعت المدفعية الأمريكية الحاق الهزيمة بالسفن البريطانية وتكبيدها خسائر فادحة . واصابتها اصابات قاتلة خلال المعركة التي استمرت طوال عشر ساعات انتهت بتعطيل معظم سفن الأسطول . بما فيها سفينة **القيادة** .

وقعت بعد ذلك معركة «مانهاتن أيسلند» . وفي هذه المعركة أضطرت القوات الأمريكية للانسحاب . ونجحت بطاريات المدفعية المكلفة بحماية نهر هدسون باخلاء مرابضها بمهارة كبيرة . واستخدمت في ذلك الزوارق التي كان أفراد كتيبة صيادي أسماك **مسشوستس** يعملون عليها . أما المدافع الرابضة في «فورت لي» فقد ضاعت من الأمريكيين . على كل حال . عندما هرب «لي» مع رجاله . ولم تمض بعد ذلك فترة طويلة حتى استخدمت ثلاث قطع من هذه المدافع المتمركزة في «مانهاتن ايسلند» لإحباط انزال القوات البريطانية في «نيو روشيل» .

تولى «بينيديكت ارنولد» قيادة قوة من الزوارق النهرية المصنوعة محلياً . وزجها في بحيرة شامبلين في شهر تشرين الأول – اكتوبر – ١٧٧٦ . وكانت هذه الزوارق تحمل على سطوحها الخشنة وغير المدهونة قطعاً من المدفعية . واشتبك بنيرانها مع اسيطيل الجنرال كارلتون الذي ضم إليه ثلاث قطع حربية كان قد تم نقلها مجزأة عبر المناطق البرية . وفي نهاية اليوم الثاني من المعركة . أصبح الأمريكيون مرغمين على ترك «غابتهم **الخضراء**» التي شكلتها قطعهم البحرية . والتي كانت نيران البريطانيين قد احرقتها أو أغرقتها . غير أن «كارلتون» اضطر لفك الاشتباك بدوره حيث تم استدعاؤه للاتصال مع «هوا» في نيويورك . وقفل راجعاً إلى كندا .

تم تكليف «كنوكس» أثناء الهجوم على «ترينتون» بشحن المدافع عبر الدوامات العاصفة «لنهر دولاوار» والعمل بعد ذلك على جرها طوال المسافة الباقية فوق الطرق الوعرة والمغطاة بالثلج والجليد . وقد استطاعت هذه المدافع ان تعمل يوم المعركة ومنذ الفجر على اغراق الشوارع بنيرانها وحرمان الفرسان الألمان «الهسيان» – والذين كانوا يحتفلون بأعياد الميلاد – من ابداء أي مقاومة . أو تنظيم دفاع قوي عن الاقليم .

وقعت معركة ساراتوغا في شهر تشرين الأول – اكتوبر – ١٧٧٧ . وقد ضاعت فيها مجموعة من المدافع . واستنزفت مدافع أخرى . غير ان انتصار الأمريكيين . واستيلاءهم على أعداد كبيرة من المدافع ساعدهم على تعويض خسائرهم .

لم تستخدم المدفعية على نطاق واسع في الأعمال القتالية للجنوب . وبصورة خاصة في سنة ١٧٧٩ ، ويعود السبب في ذلك إلى أن قوة الموالين لبريطانيا في الاقليم حولت الصراع إلى مجموعة من العمليات الصغرى والاغارات بين العصابات المتنافسة للثوار والأنصار «التوري» . كما ان عمليات القتال على الحدود في تلك السنة لم تترك مجالاً لاستخدام المدفعية . باستثناء تلك الهجمات الطارئة على مراكز الحدود البريطانية . ومنها ما حدث في شهر آب – اغسطس – حيث تم تكليف «بول ريفير» بشحن المدافع بواسطة سفن ولاية مسشوستس بهدف الهجوم على الحامية البريطانية المتمركزة في اقليم كاستين «عند خليج بينو بسكوت» . وقد هزمت هذه الحملة هزيمة منكرة على أيدي قوات الاسطول البريطاني المتفوق والذي ظهر بصورة مباغتة بعد أن قدم من نيويورك ، وقد حدث ذلك على الرغم من أن المدافع وجنود الميليشيا كانوا قد انتهوا من عملية النزول إلى البر – اليابسة – وهذا مما أدى إلى تقديم «بول ريفير» والمسؤولين معه عن هزيمة القوات الأمريكية ، ومحاكمتهم أمام محكمة عرفية .

انتقم البريطانيون لهزيمتهم في معركة «ساراتوغا» بما أحرزوه من انتصار في معركة «شارلستون» سنة ١٧٨٠ . وقد مضت على هزيمة البريطانيين أربعة أعوام قبل أن تتفتت قلاع «سوليفان» و «جيمس ايسلند» تحت ثقل هجمتهم .

وقد بدأت عمليات هذه الهجمات في نيسان – ابريل – حيث دفع البريطانيون حشداً من السفن إلى داخل الخليج في حين شرعت قواتهم البرية بقصف المدينة من بطاريات المدفعية التي اقيمت عبر النهر ، وعلى أرض شبه جزيرة «شارلستون» . وقد شملت قوات الحصار البريطانية وحدة غريبة في تكوينها أطلق عليها اسم «المتطوعين الإيرلنديين» وهم – في معظمهم – الأفراد الهاربون من القوات الأمريكية – من أصل ايرلندي – يقودهم بريطاني نبيل عرف باسم «لورد رودون» واشتهر إن حقاً أو ظلماً بشهرة «أبشع وأسوأ رجل إنكليزي» . وكان لا بد لمدينة «شارلستون» من الاستسلام تحت ثقل وطأة الهجوم الذي إضم (١٠) آلاف بريطاني . وحاول القائد الأمريكي «الجنرال لينكولن» تعطيل حركة استدارة الفرسان البريطانيين الذين كانوا يقومون بالإلتفاف حول الشمال ، وقطع طريق عودتهم . كما قرر الاستمرار في القتال للدفاع عن «شارلستون» وأمكن الصمود لفترة شهر كانت المدفعية الأمريكية خلالها تبذل فوق طاقتها لتنفيذ واجباتها تحت وطأة القصف البريطاني ، غير أن «لينكولن» اضطر

للاستسلام في (١٢) أيار - مايو - وأحرز البريطانيون أكبر نصر لهم ، وهو النصر الذي تم تتويجه بالاستيلاء على (٣٠٠) مدفع أمريكي .

مضت فترة ستة عشر شهراً على ذلك عندما انقلب الموقف بصورة مذهلة لمصلحة الأمريكيين ، وكان ذلك في «يورك تاون» والتي احتلها «كورنواليس» بعد أن فشل في تجاوز «لافاييت» أو منافسته .

وفي معركة «يورك تاون» هذه قرر «جورج واشنطن» بصورة مباغتة التقدم بقواته للتعامل مع «كورنواليس» بعد أن أدرك ان موقفه يساعده على التحرك بأكثر مما كان متوافراً للقوات الأخرى . وكانت القوة الأمريكية - الافرنسية التي تزيد على (١٥) ألف مقاتل ، تضم معها رتلاً طويلاً من المدفعية التي تم احضارها من «هوسون» عبر الطرق البرية ، بالإضافة إلى بعض قطع المدفعية التي تم انزالها من السفن الأمريكية . وقد أشرف «جورج واشنطن» بنفسه على اختيار مرابض المدفعية . ومن ثم ، بدأت عملية قصف يورك تاون يوم ٩ تشرين الأول - اكتوبر - وفقاً للأسلوب التقليدي - الكلاسيكي - الذي كان معروفاً خلال تلك الفترة ، في تنظيم أعمال الحصار . وبعد خمسة أيام نجحت القوات الأمريكية باجتياح المراكز المتقدمة للقوات البريطانية . وتعطلت بعض المدافع الأمريكية بصورة مؤقتة ، وكذلك المدافع التي خربها البريطانيون قبل انسحابهم ، غير انه أمكن إصلاح الاعطال بسرعة . وفي يوم ١٦ تشرين الأول - اكتوبر - كان هناك مائة مدفع أمريكي تطلق نيرانها بكثافة عالية على القوات البريطانية ، وترغمها على الاستسلام . ولم يعرف المقاتلون في ذلك اليوم ، بأن هذه المعركة ستكون آخر معركة كبيرة في حرب الاستقلال ، تقوم فيها المدفعية بالدور الأساسي والحاسم .

(د) المهندسون :

عندما أسندت القيادة العليا للقائد «جورج واشنطن» في شهر تموز - يوليو - ١٧٧٥ . وقام على أثر ذلك بجولته لتفقد كتلة القوات الرئيسية في «كامبريدج» كان في جملة ما لاحظه لأول وهلة هو الغياب الكامل لتنظيم المهندسين . وأدى الاهتمام بالعمل الهندسي إلى ظهور عدد من المهندسين كان من أولهم . «ويليام مولتري» الذي انصرف لإقامة التحصينات في «سوليغان ايسلند» ،

وبذل كل جهده حتى نجح في تغيير معالم المنطقة الدفاعية ، الأمر الذي أدى إلى فشل البريطانيين في الاستيلاء على شارلستون سنة ١٧٧٦ . وقد تم الاعتماد في هذه التحصينات على دعم الطبيعة الأرضية ، بسعف النخيل والأخشاب الاسفنجية التي كان لها دور كبير في امتصاص ضربات قنابل المدفعية .

وفد بعد ذلك عدد من المهندسين لمساعدة الثورة الأمريكية ومن أوائلهم المهندس الشاب البولوني العقيد «تادوس كوسكيوسزكو»[٣٧] . والذي عهد إليه في سنة ١٧٧٧ مهمة دعم التحصينات الدفاعية في «قلعة تيكونديروغا» بالحجارة . مع تحصين الأرض المحيطة بها ، بالإضافة إلى التحصينات في المرتفعات القريبة والمستقلة . وقد اشترك هذا الأجنبي في حملة «ساراتوغا» ووضع خبراته لتحقيق النصر ، واستمر في ذلك حتى نهاية الحرب . وقد حفظت أمريكا للمتطوع «تادوس» ذكرى جهوده بأن اطلقت اسمه على عدد من المدن في كافة الأقاليم .

عندما دخلت فرنسا الحرب إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية ، عملت على دعمها بمجموعة من مهندسيها والذين كانوا يعتبرون من أفضل العلماء في العالم العسكري ، وذلك باعتمادهم على الأرضية التي أرسى تقاليدها المهندس «فوبان»[٣٨] . وكانت مجموعة المهندسين الافرنسيين تعمل تحت إدارة العقيد «لويس

---

(٣٧) تادوس كوسكيوسزكو : (THADEE — KOSCIUSZKO (THADDEUS)) . جنرال بولوني من مواليد سيشنويس : (SIECHNOWICE) (١٧٤٦ – ١٨١٧) ، نشأ ثورياً متمرداً . وكان من أبرز أعماله دعمه للثورة الأمريكية ، ثم عاد إلى بلاده ليقود ثورتها ضد روسيا ، وأطلق عليه مواطنوه لقب ديكتاتور سنة ١٧٩٤ . ثم وقع في قبضة الروس . وأطلق سراحه سنة ١٧٩٦ من قبل القيصر بول الأول (PAUL) فأمضى بقية حياته في عزلة ، مبتعداً عن كل الأحداث المثيرة .

(٣٨) فوبان : (MARQUIS . DE VAUBAN. (SEBASTIEN LE PRESTRE)) مهندس عسكري ، أصبح ماريشالاً لفرنسا . ولد في سانت ليجيردو فورجوريه – نيبفر – (١٦٣٣ – ١٧٠٧) وقد ولد فقيراً ، ووصل بجهده وعمله إلى أرفع المناصب ، وقد برهن على كفاءته العالية في تنظيم التحصينات وأعمال الحصار التي بلغ عددها (٥٣) حصاراً . وركز جهده لتنظيم التحصينات على امتداد الحدود الافرنسية ، فنظم (٣٣) موقعاً حصيناً وعمل على اصلاح وإعادة تنظيم أكثر من (٣٠٠) موقعاً . ووضع فوبان في نهاية حياته مشروع الاصلاح الملكي : (PROJET DE DIME ROYALE) حيث طالب بتحقيق المساواة بين المواطنين في دفع الضرائب ، مما أدى بالملك الافرنسي لويس الرابع عشر إلى ابعاده عن الحاشية ، وصرفه عن البلاط .

دوبورتاي»(*) الذي ترك أثراً عميقاً في نفس جورج واشنطن . حتى انه أوصى بترفيعه ترفيعاً استثنائياً إلى رتبة لواء «ميجر جنرال» . وقد عمل «لويس» على استخدام عبقرية المهندسين المرافقين له وبذل الكثير من الجهود لتطوير التنظيم الهندسي في الجيش الأمريكي . وبفضلهم توافرت للجيش الخبرات في الأعمال الهندسية والتنظيم الدفاعي وأعمال التفجير وزرع الألغام . وأصبح من المتعارف عليه إقامة التنظيمات الدفاعية – مثل الحفر الفردية والمساتر حتى مستوى الصدر – وفقاً لمقاييس محددة . وكانت الوحدات تضطلع بواجب قطع الأجمات والأدغال مستخدمة في ذلك الفؤوس الهندية والمناجل اليدوية العادية ، ومستفيدة مما يتم قطعه من «أغصان وأعواد» لصنع حزم متفاوتة في أطوالها تزيد عادة على عشرة أقدام .

كما كان هناك أسلوب بدائي آخر لصنع المساتر الترابية الدائرية بواسطة التراب الذي يتم تكويره بدوائر قطرها ثلاثة أقدام . وتغرس في هذه الأكوام الترابية حزم الأغصان المقتطعة حديثاً لتشكيل ما يشبه السلة الدائرة .

كانت عملية حفر الخنادق تبدأ عادة بإقامة السواتر ، وذلك بعد تحديد المحيط الخارجي للتنظيم الدفاعي ورسمه على الأرض . وكان خط هذا المحيط يأخذ بصورة عامة شكل خطوط متعرجة – ذات زوايا – وقد أدخل المهندسون الافرنسيون هذه الأشكال الأكثر تعقيداً في إقامة الخطوط الدفاعية الحصينة .

كانت الخطوط الأولى من أكوام التراب – السلال – تمتد على طول الخطوط الخارجية ، ثم تضاف بعد ذلك الخطوط التالية وفقاً لما يتوافر من القوات والوقت ، ووفقاً لما يتطلبه عمق الدفاع . ويتم بعد ذلك حفر الخنادق وراء المساتر . ويلقى التراب المستخرج من الحفر لزيادة ارتفاع المساتر . وعندما تغطى المساتر بالتراب ، يؤتى بأحزمة الأغصان لدعم المنحدرات والأطراف ذات السطوح المائلة . كما تستخدم حزم العيدان هذه لتأمين الاتصال بين الخنادق – أو عزلها – ويمكن تغطية هذه السواتر بعشب «المرج» إذا ما توافر الوقت .

كان المهندسون العسكريون هم الذين يشرفون على إقامة مراكز الإقامة وبناء المعسكرات في مناطق الإقامة الشتوية – مثل وادي «فورج». وكانت «مدن» منازل الإقامة في «موريس تاون» تضم أكثر من ألف بناء . في حين كان عدد هذه الأبنية في

(*) العقيد لويس دوبورتاي : COLONEL LOUIS DUPORTAIL

وادي «فورج» يصل إلى تسعمائة بناء . أشرف جورج واشنطن بنفسه على وضع مخططات البناء ، وحرص على متابعة اقامة أبنيتها .

وقد يتم بناء كل مسكن وفقاً لمواصفات معينة ومقاييس محددة . فمساكن الضباط على سبيل المثال ، كانت تضم بابين أو ثلاثة أبواب وعدداً من النوافذ ، ومواقد للتدفئة عند كل طرف . وكان المقياس النموذجي يضمن اقامة أربعة ضباط في المبنى – لا أكثر – أما مساكن الجنود فكانت أصغر حجماً ، إلا أنها منظمة لاستيعاب وايواء اثني عشر جندياً ينامون على مساطب مرتفعة . وكانت التهوية مشكلة حقيقية في هذه المنازل المزدحمة بالنزلاء ، إذ حرمت هذه من النوافذ ، وعندما وجدت النوافذ ، فما من أحد عمل على استخدامها أو فتحها لتأمين التهوية .

استخدمت أخشاب البلوط – السنديان – والجوز والكستناء من أجل بناء مساكن الجنود . وكان يتم انتقاء الأشجار المناسبة وقطعها بالفؤوس ثم نقلها بالانزلاق إلى مواقع إقامة الأبنية . وكانت مساكن الجنود تمتد طولاً بمسافة (١٤) قدماً و (٦) أقدام بالعرض ، وعندما ترتفع الجدران حتى ستة أقدام ونصف يتم التقريب ما بين أطراف الجدران من أجل تشكيل قبة السقف . وكان يتم وضع الدعامات – الأعمدة – على امتداد هذه الأطراف لتثبيت المشعاب أو اطراف اتصال الجدران بالسقف (الافاريز) . وكانت تتم تغطية الرفوف بالألواح الخشبية إذا ما توافرت أنواع الأخشاب المناسبة ، كما تفرش الأرض بألواح الخشب أيضاً عند توافرها في حين تستخدم حصائر القش في بعض الأحيان . أما المساحات ما بين الأرض والسقف – الجدران – فتغطى بالطين والجير – الكلس – .

كانت هذه المنازل ، التي هي أقرب إلى الأكواخ ، منظمة بمجموعات منعزلة بعضها عن بعض ، وبحيث تستوعب المجموعة منها قوة فوج . وتقام قدر المستطاع فوق منحدر يضمن عدم تراكم المياه ، وتنسق المنازل على انساق ، تأتي مساكن الجنود في النسق الأول ، وبعدئذ تأتي منازل الضباط ، ثم المطابخ ، وبعدها نسق مستودعات الامداد والتموين والذخائر . وتنتشر المستشفيات على نسق المؤخرة . وكان يتم حفر خندق مراحيض الميدان في أماكن منخفضة ومع اتجاه الريح ، وعلى بعد مائة ياردة من أقرب خيمة أو منزل ، وعندما يصبح من الضروري تغييرها ، تردم بالتراب الذي يتم استخراجه من حفر الخنادق الجديدة والقريبة منها .

لم يكن جيش جورج واشنطن منظماً من الناحية الادارية ، وفقاً للمقاييس الإدارية المتعارف عليها في الجيوش الحديثة ، أو حتى بالنسبة للتنظيم الاداري المعقد الذي عرفته الجيوش الأوروبية في سنة ١٧٧٥ . فكانت إدارة جيش واشنطن مميزة بالاهمال أو المصادفة - العشوائية - التي لا تنتظم لتخطيط مسبق ولا تخضع لأسس ثابتة .

وقد صدم ذلك القادة الافرنسيين والبروسيين في تلك الفترة . عندما وجدوا أنفسهم على رأس قوات تعيش بمثل تلك الدرجة من البؤس والفقر . غير ان ما يجب تذكره هو ان عدداً قليلاً من هؤلاء كانوا قد عرفوا الجندية قبل الثورة ، ولم يكن يفزعهم أو يرهبهم غياب التنظيم الاداري الملائم . كما ان توافر الامداد الإداري وتنظيمه لم يكن أبداً ليزيد من حماستهم . ولقد كان أفضل هؤلاء المقاتلين هم من رجال الحدود ، الذين عرفوا بتجهمهم وقسوتهم وفرديتهم المتطرفة . اعتادوا على الحياة الخشنة ، والارتحال بخفة وبالقليل من المتاع . ولم يكن من المتوقع لمثل هؤلاء الرجال الاهتمام بحياة المخيمات ، أو الإقامة في المعسكرات .

لقد توافرت لهم القدرة على العيش - جميعاً - على حدود الغابات التي كمنوا فيها واختبأوا ، وحتى وحدات واشنطن التي كانت أقل قدرة على تحقيق الاكتفاء الذاتي ، فإنها لم تكن لتضم إلا أولئك من جيل الرواد الذين قدموا إلى العالم الجديد - أمريكا - وكان المستوطنون في «بوسطن» و«نيويورك» هم الفئة الوحيدة من المهاجرين الذين استقروا في المدن ، والذين يمكن مقارنتهم مع أولئك المحبين للاستقرار والراحة في العالم القديم . ولكن مهما كان عليه الموقف ، فقد استطاع هذا الجيش الحاق الهزيمة بجيش «بورغوني» في حملة ساراتوغا ، رغم ما اشتهر به هذا الجيش من الافراط في التنظيم الإداري . وبالامكان الافتراض - دونما مبالغة - بأن ما أحرزه الجيش الأمريكي من انتصار سنة ١٧٧٧ ، لا يعود إلى التنظيم الجيد لهذا الجيش بقدر ما يعود إلى الكفاءة العالية في إدارته ، رغم عدم وجود هيئة أركان وأجهزة قيادية تشرف على إدارته . وقد انطلقت قوات الجيش وهي لا تضم إلا المقاتلين ، في حين كان «بورغوني» مثقلاً بقطار طويل من المدفعية ، مما ارغمه على التوقف ولم يكن باستطاعته تأمين القدرة للتحرك أو حتى للانسحاب . وكانت هذه هي نقطة الضعف التي استثمرتها إدارة واشنطن لتحقيق النصر الحاسم .

(هـ) الطرائق التعبوية (التكتيكية) :

لم تكن الطرائق التعبوية التي طبقت في حرب الاستقلال الأمريكية مماثلة أو مشابهة لتلك التي كانت تعرفها أوروبا في سنة ١٧٧٥ . فقد كانت الجيوش الأوروبية في تلك الفترة قد وصلت إلى مرحلة متقدمة ، وأصبحت وهي أكبر حجماً ، وأكثر توازناً مما كان عليه جيش جورج واشنطن ، أو الحملات التي أرسلها إليه حلفاؤه من الافرنسيين والاسبانيين .. أو حتى تلك الجيوش البريطانية التي خاضت الحرب ضده . وكان الافرنسيون في القارة الأوروبية يعتبرون أنفسهم قادة الفكر العسكري .وقد أمسكت قبضة الارستقراطية بقوة على المراكز العليا في الجيش ، ولكن على الرغم من ذلك ، فقد ظهر عدد كبير من الضباط البارزين الذين حملوا الراية في ريادة التفكير العسكري خلال تلك الحقبة ، ويكفي هنا الإشارة إلى بعض أولئك الرواد من أمثال «الدوق دوبروغلي»(٣٩) و «دوغريبوفال»(٤٠) والفارس «تيل» و «الكونت جيبير» و «بيير دوبورسيه» وسواهم من الفرنسيين الذين اسهموا بتطوير الاستراتيجية والطرائق التعبوية «التكتيكية» وحتى الأسلحة .

وكان الجيش البروسي هو أقوى الجيوس الأوروبية على الاطلاق ، منذ أيام فريدريك الأكبر – البروسي – وكان لا يزال أمامه وقت ليعيش فترة الرضى عن الذات ، وليستغرق في سباته ، حتى تأتي معركة «يينا»(٤١) ومعركة «اورستادت»(٤٢) ١٨٠٦ لتوقظانه .من غفوته .

---

(٣٩) الدوق دوبروغلي : (LE MARÉCHAL VICTOR FRANÇOIS DUC DE BROGLIE) من عائلة اشتهرت بتقديم عدد من القادة والعلماء والوزراء. ولد فيكتور دوبروغلي سنة ١٧١٨ وتوفي بسنة ١٨٠٤ ، وقد برز اسمه أثناء حرب السبع سنوات ، وقاد المهاجرين سنة ١٧٩٢ .

(٤٠) دو غريبوفال : (JEAN BAPTISTE VAQUETTE DE GRIBAUVAL) جنرال افرنسي، من مواليد آميان (١٧١٥ – ١٧٨٩) ، عين سنة ١٧٧٦ مفتشاً عاماً للمدفعية. وادخل اصلاحات كثيرة ، وتطورات كبيرة في أسلحة المدفعية وطرائق استخدامها .

(٤١) يينا : (IENA) (JENA) مدينة المانية تقع على نهر سال (SAALE) انتصر فيها نابليون على البروسيين.

(٤٢) أورستادت : (AUERSTAEDT) منطقة المانية في مقاطعة الساكس ، انتصر فيها القائد الافرنسي «دافو – DAVOUT» على البروسيين ، في حين كان نابليون يلحق بهم الهزيمة في «يينا» – في اليوم ذاته – سنة ١٨٠٦ . وأطلق نابليون على قائده دافو – لقب «دوق أورستادت» .

عرف عن الجيش الأوروبي – بصورة عامة – أنه كان ينتظم في تلك الفترة ليضم هيئات أركان وهيئات ادارية وتنظيمات هندسية ، علاوة على تنظيمات الأسلحة في فرسان ثقيلة ، وفرسان خفيفة ، بما فيها الهوسار – والمشاة التي كانت تضم قاذفي القنابل – غروناديه – والمشاة الخفيفة حاملي البنادق سواء كان هؤلاء نظاميين أو غير نظاميين. وكذلك المدفعية بنوعيها الثابت – في التحصينات والقلاع – ومدفعية الميدان المتحركة. وكان من النادر أن ينقص حجم الفرسان – الخيالة – عن ربع الحجم الاجمالي للجيش بكامله. أما عدد الفرسان فقد كان يتراوح زيادة أو نقصاناً بين فرعي الخيالة الخفيفة والثقيلة اللذين كانا يضطلعان بواجبات مختلفة وأعمال متباينة.

اضطلعت الخيالة الثقيلة بأعباء قتال الصدمة على أرض المعركة. في حين مارست الخيالة الخفيفة أعمال الاغارات ومراكز الاستطلاع المتقدمة والدوريات واعمال الحراسة ومرافقة القوات.

وفي سلاح المشاة ، شكل رجال قاذفي القنابل نسبة واحد إلى عشرة من المجموع. ولم تعد هذه التنظيمات القديمة التي كانت تمثل «الوحدات المختارة» مشابهة لما كانت عليه أيام «مارلبورو» حيث كانت تتقدم ارتال الهجوم في عمليات الحصار ، ولو انها حافظت على أصالتها وجرأتها في كتائبها . فكان يتم اختيار أفرادها بحسب طول أجسامهم وقدرتهم على الاحتمال ، وذلك لتشكيل وحدات المشاة الخفيفة في وحدات منفصلة – مستقلة – وكان ذلك بداية ظهور سرايا المشاة الخفيفة في كل كتيبة من الكتائب.

عرفت أوروبا منذ حين الجيوش الضخمة التي يزيد عدد أفراد قواتها على (٥٠) ألف مقاتل. ففي معركة (مالبلاكيه)(*) سنة ١٧٠٩ ، تولى مارلبورو قيادة (١١٠) آلاف رجل و(١٠٠) مدفع. وفي معركة (روكو) ١٧٤٦ ومعركة (لوفولد) سنة ١٧٤٧ ، كان (دوساكس)[٤٣] يتولى قيادة (١٢٠) ألف مقاتل. وفي حرب

(*) أنظر معركة «مالبلاكيه» في كتاب «مارلبورو» من مجموعة – مشاهير قادة العالم –

(٤٣) دوساكس : (MAURICE, COMTE DE SAXE, DIT, LE MARECHAL DE SAXE) ماريشال فرنسي ، ولد في غوزلار : (GOZLAR) (١٦٩٦ – ١٧٥٠) وهو الابن الطبيعي للملك «أوغست الثاني» وهو عمدة – الكتور – منتخب عن مقاطعة الساكس ، وملك بولونيا ، وأوروركونيغسمارك . (AURORE DE KOENIG-SMARK) ، انتصر في معارك فونتينوي : (FONTENOY) وروكو RAUCOUX ولوفولد : (LAWFELD) وهو من أعظم قادة عصره. بل من أعظم قادة القرن الثامن عشر.

السبع سنوات ، لم تكن الجيوش المحاربة قوية جداً في قدرتها العددية ، غير أن نسبة المدفعية كانت في تزايد مستمر . وفي معركة (ميندن) (*) سنة ١٧٥٩ . تولى «فرديناند - دوبرونزويك»[٤٤] قيادة (٤٢,٥٠٠) مقاتل و (١٨٧) مدفعاً ، فألحق الهزيمة بخصمه «كونتادس»[٤٥] الذي كان يقود (٥٤) ألف رجل و (١٧٠) مدفعاً . ويمكن تشبيه جيوش حرب الإستقلال الأمريكية ، بصورة صحيحة ، مع تلك التي خاضت معركة (كولودن)[٤٦] سنة ١٧٤٦ .

ففي هذه المعركة تولى «دوق كمبرلاند»[٤٧] قيادة قوة من (٩) آلاف رجل و (١٦) مدفعاً لدحر الأمير شارل ادوارد الذي قاد (٤٥٠٠) مقاتل و (١٢) مدفعاً . وضم جيش كمبرلاند أربع كتائب من فرسان الدراغون . ولم يضم جيش البلاد المرتفعة أكثر من أربعمائة حصان ذات قدرات تثير الشكوك . ولكن إذا كانت نسبة الخيول منخفضة في معدلاتها ، فقد امتلك الطرفان نسبة مرتفعة من معدلات المدفعية ، إذ كان لدى كامبرلاند مدفع واحد لكل ألف مقاتل - وكانت خدمة هذه المدافع سيئة جداً ، في حين كان لدى الأمير شارل مدفع واحد لكل (٤٥٠) رجلاً . وعندما جاء نابليون بونابرت ، استسلم للفكرة التي عبر عنها بقوله : «**من الضروري امتلاك عدد من المدافع يعادل ما يمتلكه العدو منها ، وقد أظهرت التجربة بأن نسبة عدد المدافع يجب أن تكون في حدود أربعة مدافع لكل ألف رجل ... وان أفضل وحدات المشاة هي تلك التي تتزاوج مع بطاريات المدفعية التي تدعمها وتعمل معها**» .

(*) ميندن : (MINDEN) مدينة المانية في ويستفاليا . على نهر الفيسر (WESER) .

(٤٤) دو برونزويك : (DUC CHARLES -GUILLAUME -FERDINAND DE BRUNSWICK) جنرال بروسي (١٧٣٥ - ١٧٠٦) كان قائداً للجيوش المتحالفة ضد فرنسا سنة ١٧٩٢ . وهزمه دو موريه في معركة فالمي سنة ١٧٩٢ . وأصيب بجراح قاتلة في معركة أورستادت . وتوفي على أثرها .

(٤٥) كونتادس : (DUC LOUIS -GEORGES DE CONTADES) . ماريشال فرنسا (١٧٠٤ - ١٧٩٥) وقد لحقت به هزيمة منكرة في معركة ميندن .

(٤٦) كولودن : (CULLODEN) مدينة في ايقوسيا : (ECOSSE) واشتهرت بالمعركة التي قادها شارل ادوارد المطالب بالعرش - وانتصر فيها دوق كمبرلاند .

(٤٧) دوق كمبرلانـــــد : (GUILLAÜME -AUGUSTE DUC DE CUMBERLAND) الابن الثالث للملك جورج الثاني (١٧٢١ - ١٧٦٥) هزمه الافرنسيون في معركتي فونتينوي ١٧٤٥ ولوفلد (LAWFELD) سنة ١٧٤٧ . وانتصر على شارل ادوارد المطالب بالعرش في معركة كولودون سنة ١٧٤٦ .

كان جيش بورغوني مجهزاً تجهيزاً استثنائياً بنسبة عالية من المدفعية ، فعندما توجه لعملياته الأولى (في أيلول – سبتمبر – ١٧٧٧) كان جند المشاة في جيشه قليلين نسبياً حتى ان عددهم لم يتجاوز (٤٦٤٦) جندياً من بينهم (٢٠١١) ألمانياً ، ولكن كان لديه أكثر من (٤٥) مدفعاً ، أو ما يعادل مدفعاً لكل مائة جندي . وكان مثل هذا التشكيل قد يساعده إلى حد كبير لو كان مسرح عملياته في أوروبا ، غير أن خصمه الأمريكي «الميجر جنرال غيت» كان يضم في جيشه (٧) آلاف جندي منهم (٢٧٠٠) جندي من الأوروبيين ، بالإضافة إلى (٢٢) مدفعاً فقط ، معظمها من عيارات أقل من عيارات مدافع بورغوني . وقد كانت حالة الطرق السيئة والقصور في وسائط الجر ، من العوامل التي ساعدت جند المشاة على ممارسة دورهم القتالي بأفضل مما استطاع تحقيقه جيش المدفعية .

جاءت معركة براندیوني بعد ذلك في سنة ١٧٧٧ ، لتكون من أكبر معارك حرب الاستقلال الأمريكية،وفي هذه المعركة لم يكن عدد المقاتلين في جيش جورج واشنطن يزيد على (١٠,٥٠٠) مقاتل . أما في معركة كامدن سنة ١٧٨٠ فقد استطاع كورنواليس وجيشه الذي لا يزيد على (٢٤٠٠) مقاتل دحر جيش «غيت» الذي كان يضم (٣) آلاف مقاتل . وقد اعتبرت هذه المعركة من معارك الحرب الأمريكية الكبيرة بالمقارنة مع بقية معارك هذه الحرب .

لم تكن جيوش حرب الاستقلال الأمريكية متخلفة عن جيوش القارة الأوروبية المعاصرة لها في مجال التسلح بالمدفعية فحسب ، وإنما كانت متخلفة عنها أيضاً في مجال الامداد بالخيول وفي تنظيم قوى الفرسان . إذ لم تعرف جيوش حرب الاستقلال تنظيمات الفرسان الثقيلة على الإطلاق ، ولم يكن لديها إلا نسبة زهيدة جداً من تنظيمات الفرسان الخفيفة . غير انها تفوقت مقابل ذلك تفوقاً حقيقياً على الجيوش الأوروبية المعاصرة لها بتنظيم المشاة الخفيفة . ومن هنا ، فإنه بالمستطاع القول – دونما مبالغة – بأن مسارح القتال الأوروبية لم تعرف إلا نادراً وحدات المشاة الخفيفة التي تستطيع الاضطلاع بدورها في الحرب بمثل ما كانت عليه وحدات المشاة الخفيفة – الأمريكية – والتي تدربت على الأعمال القتالية القاسية في مدرسة حرب الحدود الأمريكية . وجدير بالذكر ان السرايا الخفيفة البريطانية لم تكن في كل الأحوال متفوقة على مثيلاتها من سرايا المشاة في الجيوش الأوروبية المعاصرة لها ، ولم يشفع لهذه السرايا البريطانية لباسها الأنيق والمميز بالسترة الحمراء والنطاق الأبيض

المتصالب على الصدر ، إذ ظهرت أمام سرايا الرينجرز – الأمريكية – وهي (غير ملائمة لما تلبسه من ثياب) ، وبأنها لا تمتلك الكفاءة التي كانت متوافرة لسرايا الرينجرز الأمريكية . وزيادة على ذلك ، فقد كان المشاة الأمريكيون من حملة البنادق – الرماة – أفضل تسليحاً دونما ريب من خصومهم البريطانيين الذين حملوا البنادق ذات الجف الأملس (أو السبطانة غير المحلزنة) . كما ان ارتداء المشاة الأمريكيين لقمصان الصيد (أوفراول) جعلهم يتقدمون على عصرهم في ارتداء الثياب المناسبة لأعمال الميدان ، والتي باتت تتشابه مع ما تلبسه الجيوش في العصر الحديث .

كان جندي المشاة الأمريكي المسلح بالبارودة – الرامي – يستمتع بميزة الأرض كلما تزايدت صعوبتها ، وكلما اشتدت وعورتها . وتعرض جيش «بورغوني» وضباطه ورجال مدفعيته للخسائر الفادحة على أيدي هؤلاء القناصة . وجابهت الجيوش الافرنسية أيام نابليون حرباً مماثلة فوق أرض شبه الجزيرة الأندلسية ، غير أن ما تعرضت له من الخسائر على أيدي قوات «ولينغتون»(٤٨) بقيت خسائر محدودة ، ولا يمكن مقارنتها بما تعرضت له القوات البريطانية على أيدي الرماة – القناصة – من الأمريكيين .

ولقد مضت بعد ذلك فترة أربعين سنة قبل أن تعيد بريطانيا تنظيم جيوشها لتعتمد في حماية حدودها على كتلة من الرماة . وقد أفادت في ذلك من تجاربها القتالية ، وتعلمت بصورة خاصة من تجاربها في حرب الاستقلال الأمريكية ، وأمكن لقواتها بذلك تأمين حماية كافية ضد الجوالة الافرنسيين الذين لم تكن بواريدهم أفضل بكثير من البواريد الانكليزية «براون بس» . وقد تصدت قوات

---

(٤٨) ولينغتون : (ARTHUR WELLESLEY DUC DE WELLINGTON)
جنرال انكليزي ، من مواليد دوبلن (١٧٦٩ – ١٨٥٢) قاتل في البداية القوات الافرنسية في البرتغال واسبانيا . ونجح في تنظيم مقاومة قوية ضدها ، اعتمدت بالدرجة الأولى على أعمال القناصة ورجال العصابات لاستنزاف قدرة القوات الافرنسية . وفي سنة ١٨١٤ ، خاض معركة تولوز . ثم تولى قيادة الجيوش المتحالفة ضد فرنسا في سنة ١٨١٥ ، حيث انتصر في معركة واترلو الشهيرة : (WATERLOO) وقد عرف عنه إرادته الصلبة وقدرته على احتمال الصعاب ، مما أكسبه لقب الدوق الحديدي : (LE DUC DE FER: IRON DUKE) . وأصبح في سنة ١٨٣١ رئيساً للمجلس الاستشاري .

المشاة الانكليزية – الخفيفة – لقوات الميلنشيا على سواحل الأقاليم الشرقية ، وأمكن لها الاحتفاظ بمواقعها .

كما عملت هذه المشاة الخفيفة على خطوط القتال في القارة الأوروبية ، وأكدت من جديد افادتها من خبراتها القتالية المكتسبة عبر حرب الاستقلال الأمريكية ، غير أنه بالرغم من ذلك كله ، يمكن القول : بأن القناص الأمريكي ، أو الرينجر ، أو الجندي المغوار في الجيوش الحديثة –كوماندو– ليس إلا نموذجاً لذلك المقاتل المرعب الذي ظهر في صفوف المشاة الخفيفة الأمريكية أيام حرب الاستقلال .

لم يكن القادة البريطانيون – الجنرالات – في سنة ١٧٧٥ ، مميزين بعبقريات عسكرية بارزة ، أو كفاءات قيادية عالية ، وفقاً لما يبرزه العرض السابق – . وكانوا في حاجة لقادة من أمثال «ولينغتون» أو «سليم» من أجل حل مشكلات الحرب الأمريكية . وقد لا تكون هناك حاجة للذهاب بعيداً من أجل التأكيد على أن القيادة البريطانية قد منحت واشنطن ورجاله من الدعم والمساعدة أكثر مما قدمه له حلفاؤه من الافرنسيين والنمساويين والبروسيين . وتبقى الحقيقة الثابتة في أن الخبرات القتالية التي اكتسبها الجنود ، على طرفي خندق الصراع ، قد اشتقت من المعارك المستمرة ، وبصورة خاصة منها تلك المعارك البارزة التي تميزت بشدتها وضراوتها . وكان واشنطن وقادته – جنرالاته – يدركون تماماً ما كان عليه رجال الحدود من ضعف شديد في انضباطهم إلى جانب مهارتهم العالية في استخدام السلاح ، ولو انهم كانوا يستخدمون هذا السلاح دونما عبقرية كبيرة . ولهذا فقد كان واشنطن وقادته يتوقون توقاً شديداً إلى أن يكتسب جنودهم الانضباط على أرض التدريب ، **إذ كانت قيادة الجنود غير** الانضباطيين تشكل عبئاً ثقيلاً يصعب الاضطلاع به ، نظراً لعدم توافر الثقة بالجنود غير الانضباطيين مهما بلغت قدراتهم ، ومهما كان عليه مستوى كفاءتهم القتالية في المعركة ، لا سيما وان فقد الانضباط يجعل من المحال على القادة توقع نتائج المعركة أو اخضاعها لتخطيط محكم . وهنا **يظهر الدور البارز في فن القيادة ، وهو الفن الذي اعتمد على اختيار الوسائل الناجحة والتي يمكن لها تحقيق التوازن بين متطلبات الانضباط الصارم – الحديدي – وبين المبادأة الحازمة .** وعلى هذا . **فقد أظهر المقاتلون في سنة ١٧٧٥ نموذجاً متقدماً يتشابه مع أساليب الحرب الڤييتنامية . التي كانت**

مزيجاً من طرائق الحروب الثورية وطرائق الحروب التقليدية — النظامية — وكان القادة الأمريكيون وهم يقودون حروبهم الثورية، يطمحون أبداً لمحاكاة أساليب فريدريك العظيم، ويعملون على تقليد طرائقه.

يكمن جوهر الكفاءة التعبوية — التكتيكية — في الاستخدام الناجع للأرض والأسلحة، وذلك هو الفن العظيم للأساليب التعبوية. ويتعلق النجاح عادة على المخطط الذي يمكن له احتواء العناصر التي تضمن تحقيق المباغتة، وعلى اعداد الطريقة المثلى للتحرك بواسطة النيران المجدية والفعالة، كما يعتمد أيضاً على تطوير الهجمات ضد مجنبات العدو ومؤخراته. وتعتبر المخططات التي لا تضمن تحقيق عنصر المباغتة، أو خداع العدو وتضليله، هي من المخططات السيئة والمحكوم عليها مسبقاً بالفشل.

لقد أكدت المعارك الجبهية عقمها وعدم جدواها. حتى في سنة ١٧٧٥ حيث لم يكن المدى المجدي للبارودة يتجاوز مسافة (٦٠) ياردة. وكانت البارودة الأمريكية التي أطلق عليها اسم «كنتوكي» — والتي بدأ الصناع السويسريون والجرمان بصنعها في بنسلفانيا — متفوقة على نظيرتها البارودة الانكليزية «براون بس ٧٥» ذات الجف الأملس. واعتقد «بورغوني» بأن جنوده لا يتقنون استخدام أسلحتهم — بواريدهم — ولهذا عمل على تشجيعهم لاستخدام هذه البواريد للطعان، والإفادة من حرابها لقتال الالتحام. ولعله كان من الأفضل له لو أنه ركز جهده على تدريب جنوده لاستخدام بواريدهم بصورة مجدية. ذلك ان الأمريكيين لم يكونوا يمانعون في خوض الصراع بأسلوب قتال جسم إلى جسم. على الرغم من أن معظم بواريدهم لم تكن مجهزة بالحراب، ولعل عدم استخدام المقاتلين الأمريكيين للحراب هو الذي شجع الجنود الانكليز على استخدام الحراب، بمناسبة وبدون مناسبة.

ولعل من أفضل المناسبات التي استخدم فيها الجنود البريطانيون حرابهم، ما قام به رجال كتيبة المشاة (١٧) عندما حاصرتهم قوات متفوقة في «برانس تاون» سنة ١٧٧٧، وعزلتهم بصورة تامة، فما كان من الجنود البريطانيين إلا أن استخدموا حرابهم لتمزيق كتلة القوات المحاصرة لهم. وشق طريقهم من بينها.

كان الضباط في معارك تلك الحرب يعانون من صعوبات لا نهاية لها ، ولم يكن أقل هذه الصعوبات نفاذ الذخائر من بين أيدي جند المشاة أو المدفعية . ومن أبرز النماذج لمثل هذه الصعوبات ما حدث في معركة «بورت رويال ايسلند» في شباط – فبراير – سنة ١٧٧٩ ، حيث قاد الجنرال الأمريكي «مولتري» قوة (٣٠٠) مقاتل من الميليشيا ، لمجابهة قوة إنزال مكونة من (١٥٠) جندياً نظامياً . وكانت القوة الأمريكية تضم :

الفرسان : ١٥ فارس دراغون بقيادة النقيب (الكابتن) جون بارنويل .

المشاة : رجال المشاة الفرجينيين المسلحين بالبنادق ، السريتين الثانية والثالثة من ميليشيا شارلستون (سرية الجوارب الحريرية) . وكلهم من طبقة السادة (الجنتلمان) .

المدفعية : مدفعين عيار (٦) أرطال من مدفعية شارلستون بقيادة النقيب توماس هايورد ، ومدفع نحاسي عيار رطلين بقيادة النقيب «تريفيل» .

وكان لكل مدفع من مدفعي هايورد (٤٠) قذيفة ، في حين لم يكن لدى مدفع «تريفيل» أكثر من (١٥) قذيفة . وكانت بعض هذه القذائف عنقودية . وقد نفذت ذخيرة المدفع عن آخرها في نهاية المعركة .

وكان لدى البريطانيين مدفع من نوع الهاون ، يستخدمه اثنان من السدنة وستة رجال من البحارة . غير ان البحار الذي كان يحمل الفتيل المفجر هرب منذ انطلاق القنبلة الأولى ، فبات من المحال استخدام هذا المدفع . ولقد كانت ظروف هذه المعركة ومسيرتها غريبة حتى على الذين اشتركوا فيها ، مما دفع بالجنرال «مولتري» لكتابة قصتها ، والتي تبرز معظم الأساليب التعبوية (التكتيكية) للطرفين المتصارعين ، وكان مما كتبه مولتري عنها ما يلي :

«ابتعدت هذه العملية عن طريقة القتال الاعتيادية بين البريطانيين والأمريكيين . فقد لجأوا هم إلى الغابات وبقينا نحن في الأرض المكشوفة ... وقد توليت قيادة جيشي

الصغير ، منحرفاً عن الطريق الذي يصل إلى مستنقع رودس والذي كانت تقع إلى الخلف منه قمة «بينا بارن» المرتفعة حيث محطومات الأشجار المتساقطة .

وكان باستطاعة البريطانيين رؤية خط قواتي بوضوح تام ، إذ أنهم توقفوا على بعد مسافة لا تزيد عن هذا الخط بأكثر من مائتي ياردة . وكان خط دفاعي يظهر لهم بصورة مرعبة . غير انه لم يكن في الواقع هو الخط الذي اعتزمت احتلاله والوقوف عنده ، ذلك لأن القوات الانكليزية وصلت بأسرع مما كنت اتوقعه .

ولقد عملت على وضع المدفعين ، من عيار (٦) أرطال في المركز حيث يستطيعان من مربضيهما تغطية الطريق وحمايته . هذا في حين انتشرت ميليشيات شارلستون ، وعدد أفرادها لا يتجاوز مائتي مقاتل على شكل خطين عميقين لتغطية الجناح الأيسر حيث كان من المتوقع قيام البريطانيين بحركة التفاف على هذا الجناح .

أما الفرجينيون فقد انتشروا بطريقة مشابهة على يمين الطريق . وبقي فرسان الدراغون هم القوة الاحتياطية الوحيدة ، وتمركز مدفع «دو– تريفيل» في الغابة ، وعلى الجناح الأيمن .

افتتح القائد **البريطاني –الميجر غاردينر– اجراءات المعركة ، بأن انطلق مهرولاً عبر الطريق الفاصل بين الجيشين ، فوق الأراضي السبخة (المرزغية). وقد ربط منديلاً أبيضاً على ذؤابة سيفه ، وهو يأمر الأمريكيين بالقاء أسلحتهم . غير أن أحد ضباط مولتري –وهو الملازم كينلوش– أجابه بأنه لا يزال في عروقه وعروق جنده كثير من الدماء البريطانية التي لا تسمح لهم بتسليم مواقعهم أو الاستسلام بدون قتال . ونهض الجنود الأمريكيون لدى سماع هذه الكلمات وأطلقوا هتافاتهم . وفقد الجنود البريطانيون هدوءهم ، فأطلقوا نيرانهم التي أصابت الملازم بنيامين ويلكنز من مدفعية شارلستون إصابة قاتلة .**

بدأ القتال في الساعة الرابعة من بعد الظهر (١٦٠٠) ولم تزد المسافة الفاصلة بين الجيشين على (١٫٢٠) ياردة . وتقدم البريطانيون بنظام تام ، وبتشكيل تسعة فصائل تضم كل فصيلة منها (١٦) مقاتلاً . ولم يحتفظ الميجر غاردينر بأية قوة احتياطية ، فكان يتقدم ببساطة ومعه قادة سراياه الثلاثة متخففين من كل ما يثقلهم . وكان تنظيمهم من اليمين إلى اليسار على النحو التالي : سرية المشاة (١٦) بقيادة الرائد

كولن غراهام . ثم السرية الثالثة/٦٠ بقيادة النقيب بروير ، فالسرية الرابعة/٦٠ بقيادة النقيب موراي ارتدوا جميعاً المعاطف الحمراء . وخاضوا معركتهم بانتشار كبير حيث تركوا مسافات تفصل بين فصائلهم وكانوا يستخدمون الأرض بصورة جيدة مستفيدين من ثناياها لتغطية تقدمهم . وكان الرجال يحددون أهدافهم ويطلقون عليها نيرانهم بصورة افرادية . في حين كان الضباط يراقبون فصائلهم من مواقعهم المتوسطة بين جنودهم .

أصدر «مولتري» ، القائد الأمريكي ، أمره إلى النقيب «هايورد» بفتح نيران مدفعيه ، ودفع جناحيه إلى مسافة أكثر قرباً من المستنقع . وأصبح اطلاق النار عاماً وشاملاً على امتداد جبهة القتال . وحاول القائد البريطاني «غاردينر» بذل قصارى جهده للوصول إلى مجنبات خصمه (أجنحته) . فاندفع الملازم «وليم كالدروود» ومعه (٤٠) رجلاً من سرية المشاة (١٦) بهجوم عنيف على الجناح الأيسر للقوات الأمريكية ، مظهرة بذلك كل ما توافر لها من الجرأة والاقدام . واستعد «مولتري» لصدهم ، مستفيداً من تفوق قواته العددي ، ومعتمداً على امتداد أجنحته وما يتوافر له من القدرة لمنع خصمه من تطويق أجنحته . وظهر للقائد الأمريكي ان الأمور ستسير على خير ما يرام في صالح قواته . وقد جابه البريطانيون صعوبة كبرى وهم يعبرون الأرض المتقطعة ، كثيرة الثنايا والتعاريج ، والتي تغطيها محطومات الأشجار . وأطلق الأمريكيون نيران مدافعهم ، مستخدمين القنابل العنقودية ، والقذائف الكروية ، وتميزت هذه النيران بدقتها وفاعليتها . وفي هذا الوقت ، كان المدفع البريطاني قد توقف عن العمل منذ أن أطلق قذيفته الأولى . وقرر البريطانيون القيام بمحاولة يائسة للوصول إلى الطريق الذي يمر من فوق المستنقع ، غير ان مدافع «هايورد» اطلقت قنابلها العنقودية –المنثار– وأرغمت قوات الهجوم على التوقف ، وأثناء ذلك اصابت حصان القائد البريطاني طلقة ، فقتلته من تحت فارسه ، وأثناء ذلك كان نصف عدد الضباط البريطانيين قد أصابته الجراح البالغة ووضعته خارج القتال ، غير أن القائد الأمريكي «مولتري» لم يكن يعرف ذلك . وأصبح باستطاعة المقاتلين الأمريكيين رؤية الجنود البريطانيين –أصحاب المعاطف الحمراء– وهم ينتظمون في مجموعتين تفصل بينهما المنطقة الممتدة على طول الطريق الذي كانت تحميه نيران المدفعين الأمريكيين .

عند هذه المرحلة ، أصدر القائد البريطاني «غاردينر» أمره إلى قواته بالتراجع ،

وكان ضباطه ومرؤوسوه يميلون إلى تنفيذ هذا الأمر . ولعله كان من المناسب في هذه اللحظة انطلاق القوات الأمريكية للقيام بهجوم مضاد ناجح . وفي الحقيقة ، فقد حاول الأمريكيون القيام بحركة للتقدم نحو الأمام . غير ان جناحهم الأيسر اضطر للتوقف أمام ضغط سرية المشاة البريطانية (١٦) ومقاومة الملازم «جون سكينر» الذي نجح في احباط تقدم القوات المقابلة له ، في حين توقفت مدافع «هايورد» في الوسط عن العمل بعد أن أسكتتها نيران مهرة الرماة البريطانيين (وهؤلاء من رجال النقيب بروير — من السرية الثالثة/٦٠) .

وكان ذلك أمراً خطيراً جداً بالنسبة للقائد الأمريكي «مولتري» إذ ان ذلك سيساعد الجناح الأيسر للقوات البريطانية على التقدم ، مجتاحاً في طريقه الجناح الأيمن للأمريكيين . وعندئذ ، وسواء أصدر القائد الأمريكي أمره ، أو كان ذلك بناء على مبادأة شخصية من قبل النقيب «بارنويل» ، فقد انطلقت قوة فرسان الدراغون بقيادة «بارنويل» وهي لا تزيد على (١٥) فارساً ، وعبرت خط مهرة الرماة البريطانيين بأقصى سرعة لها . غير أن ضربتها جاءت على ما يظهر في وقت متأخر وبعد فوات الأوان .

وصل فرسان الدراغون إلى كوخ خشبي ، حيث أسر فيه القائد البريطاني «بروير» الذي كان جريحاً ، ومعه (١٤) ضابطاً من جرحى البريطانيين . وأثناء هذه الفترة نجحت سرية المشاة (١٦) بقيادة «درومر هاينز» في احباط تقدم الأمريكيين ، وارغمت قوات ميليشيا شارلستون على التراجع حتى خط الهجوم الذي انطلقت منه . أما قوات السادة — أصحاب الجوارب الحريرية — فبقيت محتفظة ظاهرياً بتشكيلها القتالي ، على خطين عميقين ، على الرغم من تعرض المقاتلين لنيران البريطانيين ، وهذا ما دفع القائد الأمريكي «مولتري» إلى اصدار أمره إليهم بالانسحاب إلى ما وراء أشجار الغابة .

وقام هؤلاء بتنفيذ الأمر ، وأمكن بذلك الاحتفاظ بالتفوق العددي للأمريكيين وبنسبة اثنين مقابل واحد ، ولهذا فقد أخذوا في الاستعداد للتمركز بمواقعهم لجديدة ، والتمسك بها . غير انه لم تمض فترة تزيد على ثلاثة أرباع الساعة ، حتى أخذت الصيحات ترتفع ، وهي تعلن : «**لقد نفذت الذخائر .. لقد نفذت الذخائر**» .

لقد بدأ الأمريكيون معركتهم وفي جعبة كل واحد منهم أربعون طلقة لا أكثر ،

وليس من المباغت أن تنفذ هذه الذخائر ، إذ كان معدل الرمي هو في حدود طلقتين في الدقيقة ، أي ان ذخيرة المقاتل لم تكن تكفيه لمعركة تزيد على العشرين دقيقة ، وكانت ذخائر المدفعية قد نفذت في الوقت ذاته .

فقرر «مولتري» بأن الوقت قد حان لسحب قواته ، وأصدر أوامره بسحب المدفعين قبل كل شيء نظراً لما يتطلبه انسحابهما من تحرك بطيء ، في حين كان على الجناحين البقاء بعيداً عنهما ، وتأمين الحماية أثناء عملية الانسحاب . وقد تم تنفيذ ذلك بشيء من الفوضى والاضطراب نظراً لما عرف عن القوات من ضعف في الانضباط . وقد أرسل المدفعان لدعم رجال المشاة على الجناح الأيمن ، غير انهما وصلا في وقت متأخر جداً . وقد شاهد القائد «دو – تريفيل» تراجع الفرجينيين بسرعة كبيرة . فتوقف عن القيام بأي عمل .

تابع البريطانيون ضغطهم وهم يتقدمون إلى الأمام بمجموعتين ، تفصل بينهما ثغرة واسعة في الوسط ،. وكل هدفهما الوصول إلى أجنحة القوات الأمريكية وتطويقها . وبعد فترة توقف الجناح الأيسر البريطاني لفترة قصيرة . فأعطى بذلك «دو – تريفيل» الفرصة من أجل دفع قواته من الفرسان وابعاد مدفعه عن المربض الذي كان يحتله . وظهر بعدئذ ان سبب توقف الجناح الأيسر البريطاني هو اصابة النقيب «موراي» بجراح بالغة ، للمرة الثانية . غير ان هذا التوقف لم يستمر طويلاً . فقد ركب جند المشاة البريطانيون حرابهم بصورة مباغتة ، وقاموا بالانقضاض . ولما لم يكن لدى مشاة «مولتري» على الجناح الأيمن حراباً يستخدمونها . فقد ألقوا بأسلحتهم ، وانطلقوا في الفرار بعيداً عن خط المعركة .

وفي الوقت ذاته كانت سرية المشاة البريطانية (١٦) قد انقضت على الجناح الأيسر للقوات الأمريكية وأرغمت ميليشيا شارلستون على التراجع حتى خط الهجوم . وبذلك أصبحت مجنبات القوات الأمريكية مهددة بصورة جدية وخطيرة ، فاضطر من بقي على قيد الحياة من الأمريكيين إلى النجاة بنفسه ، وهيمنت الفوضى على عملية الانسحاب .

لم يكن حال البريطانيين عند انتهاء المعركة بأفضل مما كان عليه الأمريكيون . فقد أصيب نصف عدد رجالهم بالجراح ، وأصبحوا خارج القتال . وعندما قام الضابط «سكينر» الذي لم يصب في المعركة ، بتفقد الذخيرة وجد أن لدى الرجال الباقين وعددهم (٧٠) رجلاً ، كمية من الذخيرة لا تتجاوز (٩٣) طلقة . فعمل على

تفتيش جيوب الجرحى والقتلى من الجانبين ، وأمكن له جمع (٣٠٠) طلقة اضافية . وكان بالمستطاع في تلك الأيام الإفادة من ذخيرة العدو – بصورة عامة – نظراً لتماثل الأسلحة وتشابهها . **وقد أطلق البريطانيون ثلاث رشقات من أسلحتهم تحية لانسحاب الأمريكيين ، غير أن الأمريكيين لم يردوا على هذه التحية بمثلها . وبعدها جمع البريطانيون جرحاهم ، وأنقذوا خمسة كانت جراحهم تمنعهم عن الحركة أو المسير . وقد حملوا إلى المستوصف ليحظوا بعناية الطبيب الأمريكي الأسير ، والذي كان القائد «غاردينر» قد استولى على حصانه ، وانسحب البريطانيون بعد ذلك إلى سفنهم . وقد حاول فرسان الدراغون الأمريكيون بقيادة «بارنويل» إعاقة هذا الانسحاب ، وكانت النتيجة الوحيدة لهذه العملية هي قتل النقيب «بروير» ومعه (١٦) أسيراً ، كان يتم الاعداد لإطلاق سراحهم .**

في هذا الوقت أقام الأمريكيون مأتماً رسمياً لدفن الملازم «كالدروود» ومعه عدد من قتلى البريطانيين . وقد برهنت مراسم الشرف العسكرية هذه على ما تميز به رجال ميليشيا شارلستون من التطور الاجتماعي – الحضاري – .

تلك هي قصة معركة «بورت رويال ايسلند» وفقاً لما أوردها القائد «مولتري» . وهي ببساطتها وعفويتها ، تبرز الأساليب التعبوية – التكتيكية – الصغرى بأكثر مما تبرزها الحوليات أو الوثائق المعروفة عن ظروف القتال في تلك الفترة . وقد أوضحت قصة المعركة عقم استخدام مجموعة صغرى من الفرسان الذين ينقصهم الاعداد والتدريب . وكذلك القيود القاسية التي كان يفرضها ضعف الامداد بالذخائر – أو غياب هذا الامداد بصورة كاملة – كما يظهر الأثر النفساني لاستخدام الحراب . والأهم من ذلك كله بروز أهمية التفوق الناجم عن تدريب المشاة للقتال في أرض مكشوفة وبنظام محكم ضد وحدات فوضوية تفتقر إلى النظام والانضباط – حتى لو توافر لهذه الوحدات التسليح الجيد والتفوق العددي .

لم يتمكن الجنرال الانكليزي «غاردينر» من ممارسة دور عظيم فيما أحرزته قواته من النصر ، ذلك لأنه كان معزولاً عن قواته في الوقت الذي كان يقوم فيه فرسان الدراغون بانقضاضهم تحت قيادة «بارنويل» الأمريكي ، غير انه من الجحود انكار دوره في تنظيم القوات للمعركة تنظيماً جديداً ومبتكراً ، وذلك بزج قواته في فصائل صغيرة الحجم ، قليلة العدد ، بلغ عددها على نحو ما سبق عرضه (٩) فصائل . وقد خانه الحظ بصورة سيئة جداً عندما هرب البحار الرعديد ومعه الفتيل الصاعق

الخاص باستخدام مدفع الهاون ، والذي كان من شأنه تغطية الهجوم الجبهي للقوات الانكليزية على طريق المستنقع . **وقد اتهم** حاكم السافانا «أوغستين بروفوست» القائد البريطاني «غاردينر» بأنه : **«لم يكن حذراً بالقدر الكافي لأنه ترك سفنه بعيدة عنه بمسافة سبعة أميال ، معتمداً في ذلك على ما توافر لوحداته من الجرأة والاقدام»**. وقد يكون مثل هذا الاتهام صحيحاً ، إذ لو كانت السفن قريبة لأمكن استرداد الفتيل الصاعق ، ولأمكن أيضاً تجنب الصدام الذي وقع مع فرسان «دو – تريفيل» بعد المعركة .

هذا بالنسبة للقائد الانكليزي ، أما بالنسبة للقائد الأمريكي «مولتري» فإنه لا بد من القول انه امتلك أوراقاً جيدة لممارسة لعبة المعركة ، ومن هذه الأوراق تفوقه العددي ، وتفوقه بالمدفعية ، غير أنه لم يفد من هذه الأوراق التي كان لها ثقلها في مصلحته . ويظهر انه لم يكوّن أية فكرة واضحة عن جنوده . فدفع قوات ميليشيا شارلستون للقتال بالنظام المنضم في أرض مكشوفة ، وبالامكان الافتراض أنه إنما لجأ لهذا التدبير نتيجة عدم ثقته بهم . فأراد تبني التشكيل الذي تم التدريب عليه في ميدان التدريب ، حيث يقوم الضباط وصف الضباط بالاشراف على جنودهم ومراقبتهم من خلفهم وعلى امتداد مجنباتهم (أجنحتهم) . وعندما ظهر له أن هذا التشكيل سيكلفه غالياً ، وعلى حساب أرواح جنوده ، أمرهم باللجوء إلى الغابة لتأمين الحماية لهم ، فأكدوا له انهم جديرون بالثقة ، وانهم يستطيعون التحرك فوق ميدان المعركة بنظام تام . وعند تأمل هذه النتائج ، نجد انه كان باستطاعة «مولتري» اتخاذ تشكيل قتالي أفضل بكثير من التشكيل الذي اختاره لخوض المعركة . وهناك احتمال كبير في اختلاف وقائع المعركة ونتائجها اختلافاً كبيراً لو عمل «مولتري» على توجيه الفرجينيين لاحتلال المرتفع المشرف على المستنقع ، ودفع سرية من سرايا ميليشيا شارلستون للقتال بأسلوب النظام المفتوح ، في حين يحتفظ بسرية أخرى من الميليشيا كاحتياط (في النظام المنضم) . ولم يكن مثل هذا التشكيل مجهولاً في أيام حرب الاستقلال الأمريكية .

وبالإضافة إلى ذلك ، فقد نظم «مولتري» قواته للمعركة ، ولم يحتفظ بأية قوة احتياطية – باستثناء قوة فرسان الدراغون الضعيفة – فكيف يمكن لقائد مجابهة تطورات المعركة بدون توافر قوة احتياطية في قبضته ؟ .

وقد يكون من غير المجدي بعد ذلك الاسترسال في الافتراضات. إلا أنه من المؤكد دونما مبالغة بأن القوات الأمريكية والبريطانية والجرمانية والافرنسية، والتي خاضت المعارك على جانبي خندق القتال في الحرب الأهلية الأمريكية، قد خرجت بمجموعة من الخبرات والدروس القيمة، والتي زادت في أهميتها على كل الدروس المستخلصة من الصراعات على مسرح العمليات الأوروبي، وكان من أبرزها بالنسبة للمشاة، تصنيع البارودة القصيرة (البندقية) وهي البداية لتطورات كثيرة في مجال التسليح. أما في المجال التعبوي (التكتيكي) فقد كانت الأفكار التي برزت خلال مسيرة أعمال القتال لا تقل عن تلك التي ظهرت في أيام نابوليون بونابرت، ولا سيما في مجال تنظيم وحدات الرماة - القناصة - التي مهدت الطريق لتشكيل وحدات المشاة الخفيفة البريطانية والتي اقترنت باسم «السيرجون مور»(٤٩) الشهير، وهي الوحدات التي جاء «ولينغتون» فاستخدمها بنجاح وفاعلية في الأندلس. وتبقى الأهمية التعبوية (التكتيكية) في الحرب الأمريكية، كامنة بالدرجة الأولى، وبصورة أساسية، في تطوير المشاة الخفيفة.

يمكن بعدئذ التوقف عند مقولة «جورج واشنطن» والتي أوضح فيها جوهر عقيدته القتالية، بالكلمات التالية: **«يجب علينا، وفي كل المناسبات، تجنب الأعمال القتالية الكبرى، أو تعريض كل قواتنا للخطر، إلا إذا ارغمتنا الضرورات الملحة على ذلك، وعندها يجب علينا الا نتراجع».**

وتظهر هذه المقولة ان جورج واشنطن لم يكن يرغب بالمعارك الحاسمة، أو خوض الأعمال القتالية الضارية ضد الانكليز - أصحاب المعاطف الحمراء - وأنصارهم من الألمان المتحالفين معهم. ولا غرابة في ذلك. فالقوات النظامية التي تدربت وفقاً لأساليب متطورة، وصقلتها معارك «مالبلاكيه» و«ديتنجن» و«ميندن» كانت قوات مرعبة عندما تقتحم ميدان المعركة فوق بقعة أرضية تتشابه مع مسرح العمليات الأوروبي. وقد لا تكون هناك حاجة للتفكير طويلاً في أمر التكوين الجديد

---

(٤٩) السيرجون مور: (SIR JOHN MOORE) جنرال انكليزي. من مواليد غلاسكو (GLASCOW) عاش في الفترة (١٧٦١ - ١٨٠٩) كان من أبرز أعماله القتالية نجاحه في سحب القوات الانكليزية من تورو: (TORO) في الاندلس.

للولايات الأمريكية ، من أجل القول بأن معارك «لونغ ايسلند» و «براندوين» و «كامدن» قد كشفت عما يثير الذهول والاعجاب ، حيث استطاعت القوات الأمريكية الصمود قدر المستطاع ، رعم ما نزل بها من الهزائم . وقد جابهت القوات الأمريكية اعداءها من القوات الانكليزية ، وانتصرت عليها في معارك «بانكرهيل» و «مونماوث» و «كاوبنز» . ولم تكن هذه القوات الانكليزية ضعيفة أو مستخذية ، وإنما كانت عنيدة في قتالها ، جريئة في اشتباكاتها ، قوية في صدمتها ، رغم عدم توافر القيادة الذكية لها .

وها هو الميجر الفارس «دو بونتغيبو» أحد ضباط المركيز لافاييت ، يتعرض لذكرهم ووصف فضائلهم التي عرفها عنهم في معركة «مونماوث» يوم ٢٨ حزيران - يونيو - ١٧٧٨ . بقوله ما يلي :

«كان على القوات الانكليزية عبور واد سحيق حتى يصلوا الينا ، ولم يتردد جند مشاتهم الشجعان لحظة واحدة فقطعوا المسافة بسرعة ، وانقضوا علينا بحرابهم ، غير ان مدفعيتنا سحقتهم سحقاً . وخسرت كتيبة الحرس الأنيقة نصف عدد رجالها ، وسقط قائدها العقيد جريحاً»...

ولا ريب ان جيشاً على مثل هذا الوصف هو جيش يمثل «آلة تعبوية - تكتيكية» . ومن هنا يمكن القول ان الجيش البريطاني لم يخسر حرب الاستقلال الأمريكية بسبب ضعفه التعبوي ، وإنما خسرها لأسباب استراتيجية .

عند هذه النتيجة ، تجدر العودة إلى افق الاستراتيجية الرحب ، ومتابعة مسيرة الأحداث في اعقاب معركة «ساراتوغا - سنة ١٧٧٨» حيث اشهرت فرنسا الحرب على إنكلترا . ولم تعد الأعباء الحربية المفروضة على بريطانيا مقتصرة على قمع التمرد في مستعمراتها الأمريكية ، وإنما بات عليها خوض واحدة من مجموعة حروبها المعروفة ضد فرنسا . وزاد الأمر سوءاً بانضمام اسبانيا وهولاندا إلى فرنسا في حربها ضد انكلترا ، التي باتت عملياً وهي تخوض ما يشبه الحرب العالمية .

لقد ظهرت تفسيرات كثيرة لأسباب فشل بريطانيا في حرب الاستقلال الأمريكية ، وكان أحدها هو القصور في وسط القادة البريطانيين ، وتخلفهم في مجال استراتيجية الحملات . وقد لا تكون هناك فائدة من محاولة الإنقاص من دور

القادة الانكليز أو مناقشة كفاءة بعضهم أمثال : بورغوين وكورنواليس وكلينتون وهوا ، غير انه بالامكان القول ان كورنواليس هو الوحيد بينهم الذي توافرت له كفاءة قيادية عالية ، في حين كان الباقون ذوي كفاءة عادية . ومقابل ذلك كان «جورج واشنطن» هو القائد الاستراتيجي الواقعي والعملي ، والذي لا يمكن مقارنته لا بالضباط الانكليز ، ولا حتى بضباطه . وعلى الرغم من ظهور بعض العبقريات في القيادة الأمريكية - من أمثال غرين خاصة - فإنه كان من المحال مقارنة هذه العبقريات بما توافر لواشنطن من الكفاءة ، أو اختيار أحد هؤلاء القادة ليكون بديلاً أو منافساً له . وكان أفضل الضباط الأمريكيين هم أولئك الذين تولوا قيادة أعمال العصابات ، من أمثال «ماريون - ثعلب المستنقعات» و «ايتان آلن» وأمثالهما .

أما في مجال عمل «فون شتيبن» ومحاولة تطوير القوات الأمريكية ، فإنه بالامكان القول ان الجهود المبذولة في هذا المضمار لم تكن إلا محاولة لمقاتلة الإنكليز فوق أرضيتهم التي تدربوا عليها. ولقد برهنت هذه المحاولة على عقمها. فقد كانت أروع وأجمل ساعات الحرب الأمريكية هي تلك التي أحرز فيها الأمريكيون انتصاراتهم في «كينغ ماونتن» و «فريمان فارم» ومرتفعات «بيميس». ولم تكن هذه المعارك ، وفقاً لما سبق عرضه ، معارك جيوش نظامية ، وإنما كانت معارك خاضها رجال الحدود وهم يرتدون معاطفهم الجلدية القاسية ، إلى جانب المزارعين الذين كانوا يدافعون عن ممتلكاتهم ومنازلهم ووطنهم ، ويخوضون حربهم بأساليب الثورية ضد القوات النظامية .

ولقد أدرك بعض القادة البريطانيين هذه الحقيقة ، فأكدوا بأنه من المحال غزو (انكلترا الجديدة - أو أمريكا) بالانطلاق من كندا ، فكتب أحدهم ما يلي :

«يجب عدم الاعتماد في تقويم الموقف على حجم القوات التي يستطيع السيد جورج واشنطن ادخارها للحرب وزجها في القتال . وإنما يجب التفكير بأمر الميليشيات الكثيرة والمتنوعة ، وبالرجال الذين يحملون السلاح وهم على استعداد للتجمع في ساعة واحدة من أجل تشكيل قوة موحدة لمجابهة كل قوة تحاول القيام بغزوهم - وفقاً لما أبرزته الأحداث السابقة».

قد يكون من المثير للسخرية بدرجة كافية ملاحظة ذلك التشابه بين ما جابهه الانكليز في حربهم ضد الأمريكيين ، وبين ما جابهه الاستعماريون في حروبهم .

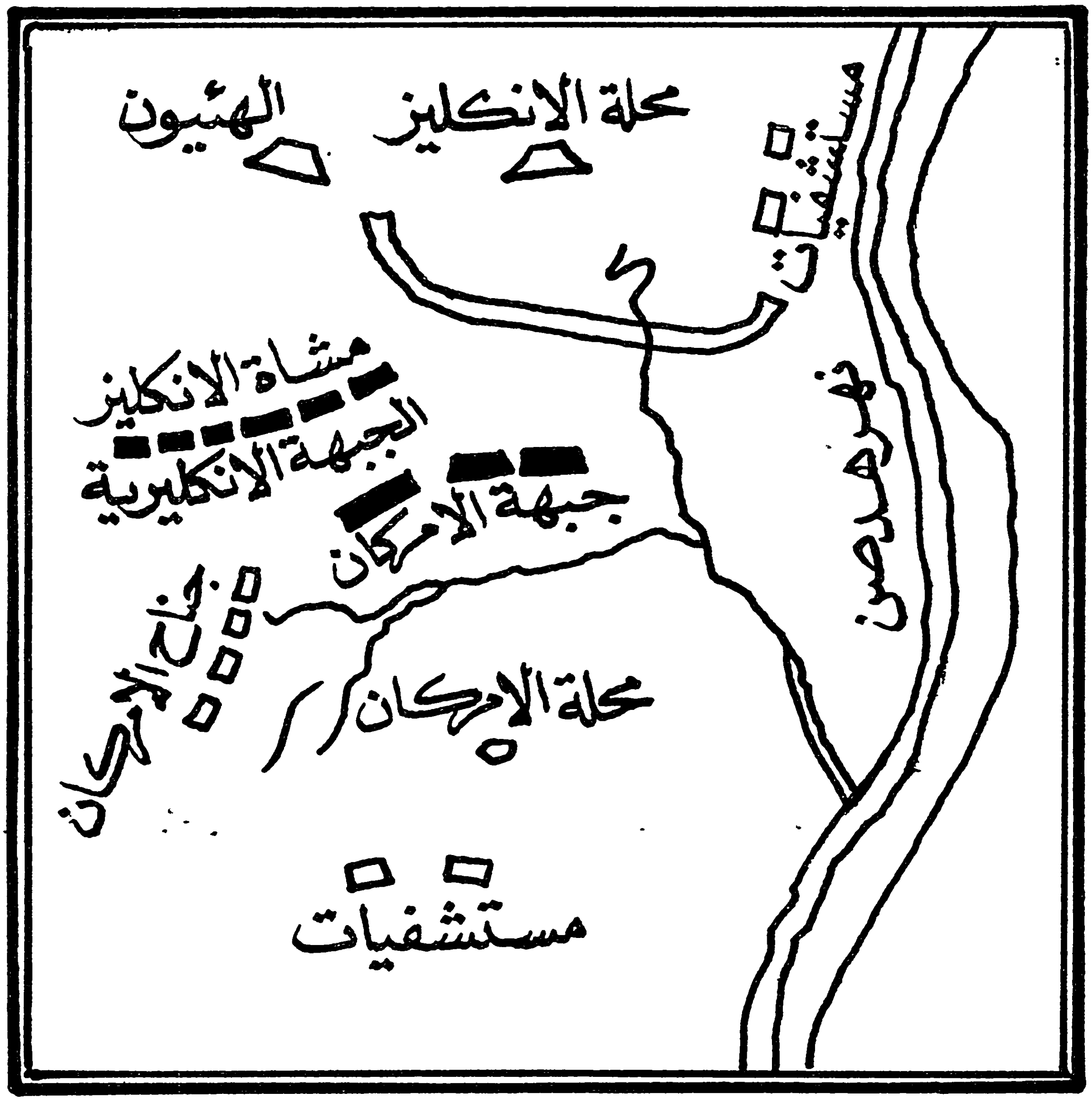
وبصورة خاصة في حرب الجزائر وحرب الهند – الصينية ثم الحرب الڤييتنامية التي خاضها الأمريكيون لقمع إرادة شعب يرفض الخنوع والاستسلام لأعدائه ، تماماً على نحو ما كان عليه موقف المهاجرين الأمريكيين قبل قرنين تقريباً من عمر الزمن .

لقد خاضت هذه الشعوب حروبها بأساليب الحروب الثورية ضد قوات نظامية ، ولم يكن من الصعب على الشعوب المستعمرة (بفتح الميم) الحصول على متطلباتها من الوسائط التي تتناسب وأهدافها .

ولقد عملت القوات البريطانية ، خلال حرب الاستقلال الأمريكية ، على احراق المزروعات ، وتدمير المدن والقرى ، غير انها لم تنجح في دفع «جورج واشنطن» لزج قواته النظامية التي كان يعمل «فون شتيبن» على اعدادها وتدريبها فوق ميادين التدريب وفقاً للأسلوب الانكليزي «تنكب سلاحك ، قدم سلاحك – استعد – نار». ذلك ان جورج واشنطن لم يكن وهو يجابه الاستفزازات البريطانية ، مستعداً للانسياق وراء مخططات خصومه ، أو التخلي عن سياسته الاستراتيجية التي تفرض عليه تجنب «المعارك الحاسمة الكبرى» .

وتبقى الكلمة الأخيرة للقائد الانكليزي «دوق ولينغتون» الذي يعتبر دونما ريب أكثر القادة قدرة على معالجة المشكلات التي جابهها «هوا» و «كلينتون» وتحليلها وفقاً لما يلي :

«تتميز القارة الأمريكية باتساعها الشاسع ، وبقلة عدد سكانها ، وبانتاجها الزراعي المحدود بالمقارنة مع امتداد أراضيها الزراعية . ويصبح خوض الأعمال القتالية بتشكيلات ضخمة في مثل أقاليم هذه القارة ، أمراً عسيراً . بل من المحال تحقيقه ، إلا إذا توافرت للطرف القائم بالهجوم القدرة على تأمين الامداد المستمر عبر خطوط الملاحة البحرية والنهرية ، وإلا إذا أمكن زج وسائط ضخمة لتأمين النقل البري . وهو أمر كان يصعب تحقيقه في ظروف حرب الاستقلال» .



ميدان ساراتوغا

(و) معركة ساراتوغا :

استمرت حرب الاستقلال الأمريكية زهاء سبعة أعوام . تخللتها معارك كثيرة واشتباكات يصعب حصرها ، وقد تضمن الوجيز في مقدمة هذا الكتاب بياناً بأبرز هذه المعارك. وقعت معركة «ساراتوغا» بعد ثلاثة أعوام من بداية الحرب التي استمرت بعدها أيضاً لمدة أربعة أعوام .

وعلى الرغم من كل ما سبق معركة ساراتوغا ،وما تبعها ، فقد بقيت تحتل مركز القمة فوق كل المعارك .

وقد اعتبر كثير من الباحثين ورواد التاريخ ان هذه المعركة هي نقطة الانعطاف الحاسمة في مسيرة الحرب ، ذلك لأنها أكدت تصميم الأمريكيين على السير بالحرب حتى نهايتها الحتمية وهي الاستقلال الكامل للولايات الثائرة . وقد سبقت الإشارة إلى ما اعقب هذه المعركة من نتائج كان أبرزها اعلان فرنسا ثم اسبانيا وهولاندا الحرب على انكلترا . ولم يكن ذلك ليحدث لو عرفت هذه الدول انها ستخوض المعركة من أجل قضية خاسرة . وهكذا فإن انتصار الأمريكيين في ساراتوغا قد انعكس بصورة إيجابية على صفحة أوروبا ، فكان في ذلك التحول الحاسم في مسيرة الحرب .

بدأ الصراع المرير بين الثوار الأمريكيين وخصومهم الانكليز في سنة ١٧٧٥ . وكانت الأحداث تتفاقم بصورة مستمرة ، مما دفع القيادة الانكليزية لاتخاذ قرارها بوضع حد حاسم لتمرد الثوار .

وكان لانكلترا في سنة ١٧٧٧ جيشاً قوياً في كندا ، فأخذت في اعداده وتجهيزه ، ودعمته بسبعة آلاف مقاتل مجهزين بالأسلحة والذخائر ، وعهدت بقيادته للجنرال « بورغوين » . وقد انصرف هذا إلى اتخاذ الإجراءات للمعركة الحاسمة ، فجمع قواته على ضفاف بحيرة أونتاريو ونهر سنت لورانس وأخذ في إعدادها للقتال «في أودية هدسن» (هدصن) . ودولاوار وأوهيو . وقرر أن يسير جنوباً عن طريق البحيرات ووادي هدسن ، حيث يلتقي بالجنرال كلانتون ، الذي كان عليه الصعود شمالاً – منطلقاً من نيويورك – ومعه الامداد والذخائر . فيصل الخط العسكري بين نيويورك وكندا ، ويفصل الثوار . ثم يسحق جيش واشنطن الاتحادي ، وبذلك يمكن اسدال ستار على الحرب .

وانطلقت الحملتان الانكليزيتان من كندا ونيويورك بتواقت واحد ، وهما على ثقة تامة بالنصر نظراً لتفوقهم بالرجال ووسائط القتال ، فبلغ مجموع رجال الحملة (١١,٤٤٣) رجلاً . وكان يعمل تحت قيادة بورغوين قائدان آخران هما الجنرال فيليب والجنرال فرايزر ، كما ضمت القوات الانكليزية مجموعة من سكان أمريكا الأصليين – الهنود الحمر – . **والتقت القوات الانكليزية على ضفاف نهر بوكوييه ، قرب بحيرة شمبلايين ، شمالي ولاية نيويورك ، يوم ٣١ حزيران – يونيو – ١٧٧٧ .** ثم توجهت إلى حصن «كراون بوينت» بين بحيرتي جورج وشمبلاين ، واحتلته دونما مقاومة ، إذ كانت القوات الأمريكية قد انسحبت منه . وكان الانكليز يحسبون حساباً لمقاومة الأمريكيين في حصن «تيكونديروغا» الواقع على بعد (١٢) ميلاً إلى الجنوب ، وهو مفتاح الطريق إلى نيويورك . غير ان القائد الأمريكي «سانت كلير» أخلاه بسبب ضعف جيشه ، وعدده ثلاثة آلاف مقاتل ، فكان فرح الانكليز عظيماً بذلك ، وحسبوه فوزاً لهم ، وتعاظمت آمالهم بقرب انتهاء الحرب ، وانطلقت صحفهم في إطراء المديح للقائد «بورغوين» والإشادة بانتصاره الرائع .

كان «جورج واشنطن» يتابع مسيرة الأعمال القتالية من مركز قيادته في كامبريدج – وقد أصيب بصدمة قوية عندما علم باستيلاء القوات الانكليزية على حصن «تيكونديروغا» . غير أن الصدمة لم تقعده عن العمل ، فتحرك بسرعة ، ودفع حكومته لاتخاذ قرار بمتابعة الحرب . وعزل «سانت كلير» وعين الجنرال «غيث» مكانه ، ووجهه إلى «ساراتوغا» . ثم انطلق لاستثارة الحماسة لدى المواطنين ، مستفيداً في ذلك من الفظائع التي ارتكبها الهنود الحمر بابادتهم للرجال واعتداءاتهم على النساء والأطفال .

وبدأ التحول لمصلحة الأمريكيين ، ففي يوم ٨ آب – اغسطس – وقعت معركة «أوريزكاني» وفيها اشترك جوزيف برانت مع الإيروكواز وكمائن التوري بقيادة الجنرال «نيكولاس هيركيمر» الذي اصيب بجراح قاتلة . ودمر نصف رتله في محاولة لدعم قلعة «ستانويكس» على نهر موهاوك .

وفي يوم ١٦ آب – اغسطس – وقعت معركة «بينينغتون» وانتصرت القوات الأمريكية من جديد على الألمان «الهسيان» الذين أرسلهم «بورغوين» بقيادة الجنرال «باوم» لدعم قواته في «بينينغتون» وقد سقط الجنرال باوم جريحاً وتخلى عنه جنوده

الذين لاذوا بالفرار وكان عددهم (٥٠٠) جندي . وعلى الرغم من هاتين الحادثتين . فقد صمم «بورغوين» على متابعة مسيرته بالحملة . لا سيما بعد أن اصبحت مواصلاته مع كندا مقطوعة . فإذا لم يتمكن من الاتصال بنجدة «كلانتون» تعرضت حملته لمأزق حرج قد يتهددها بأخطر النتائج .

انسحبت القوات الأمريكية من «ساراتوغا» إلى موقع منيع بالقرب من «ستيل ووتر» في منتصف الطريق بين «ساراتوغا» و «آلبني – أو آلباني» . وكانت الأراضي بينهم وبين القوات الانكليزية ، وعرة وكثيرة المنحدرات والجداول . بحيث بذلت القوات الانكليزية جهداً كبيراً في تسوية الأرض وإقامة الجسور ، ثم تابعت تقدمها إلى «ستيل ووتر» . فوصلتها يوم ١٩ أيلول – سبتمبر – وتوقفت على بعد أربعة أميال من «ساراتوغا» . وعندئذ وقعت المعركة المعروفة باسم «معركة مزرعة فريمان» حيث نشب القتال بين قوة أمريكية يقودها غيث – و – أرنولد وبين الجناح الأيمن للقوات الانكليزية بقيادة «بورغوين» ذاته . وقد استمر القتال حتى غروب الشمس . وظل الجيشان على مرمى رصاص أحدهما من الآخر . ولم تتميز هذه المعركة بالحسم ، وتكبد الطرفان خسائر في الرجال غير ان خسائر «بورغوين» كانت أكبر . فاعتبر هذا الاشتباك هزيمة للقوات الانكليزية .

انتظر القائد البريطاني «بورغوين» بلهفة كبيرة وصول «كلانتون» ومعه الدعم والامداد ، وكان من المفروض أن يكون قد وصل إلى قلعة «آلباني» . غير ان مراسلاً من قبله وصل إلى «بورغوين» وأعلمه أنه إصطدام في طريقه بصعوبات غير متوقعة اعاقت تحركه ، وان أمامه حصنين تحتلهما القوات الأمريكية ، سيحاول احتلالهما حتى يتمكن من متابعة تقدمه . وأثناء ذلك تزايد موقف الانكليز صعوبة ، ففي يوم ٢١ أيلول – سبتمبر – وقعت معركة «باولني» وفيها هزم الأمريكيون اللواء البريطاني الذي كان يتولى قيادته «الجنرال انتوني واين» وأمام هذا الموقف . أرسل «بورغوين» من قبله مراسلاً إلى «كلانتون» يستحثه على الاسراع في احتلال الحصنين والتقدم نحو «ساراتوغا» . وفي هذه المرحلة الحرجة . أخذ الجنود الحمر بالانسحاب من قوة الحملة التي هبط عدد رجالها إلى نحو ستة آلاف مقاتل . كما نجح «هوا» باحتلال «فيلادلفيا» يوم ٢٦ أيلول (سبتمبر) . مما فرض على واسنطن الامساك بالمبادأة . والسيطرة على الموقف . غير أن الحظ خانه في معركة «جرمان تاون» من جديد .

حيث تمكن «هوا» من دحره يوم ٤ تشرين الأول (اكتوبر). وابتسم الحظ أخيراً لجورج واشنطن يوم ٧ تشرين الأول (اكتوبر) حيث وقعت معركة مرتفعات «بيميس» وفيها تلقى «بورغوين» هزيمة جديدة. وبذلك وصلت الاشتباكات إلى ذروتها، وبات من المحتم وقوع معركة حاسمة لإيقاف الاستنزاف الذي أخذ في إضعاف الطرفين المتصارعين، ولو أن هذا الاستنزاف أضعف القوات الانكليزية بأكثر مما نال من القوات الأمريكية.

أخذ «بورغوين» في تنظيم قواته للمعركة، فوضع جناحه الأيمن غربي نهر هدسن (هدصن) على زاوية قائمة مع النهر، وحصنه بشبكة من الخنادق، إلى جانب الحفر الافرادية التي اهتم الطرفان المتصارعان بتنظيمها. وكان الأمريكيون يتزايدون قوة، يوماً بعد يوم، بفضل ما كان يصلهم من الامداد، حيث انضمت اليهم يوم ٢٩ أيلول –سبتمبر– قوة من «نيوانكلند» بلغ عدد أفرادها الفي مقاتل. وأكمل الجنرال البولوني «كمسيوكو» التحصينات، قاد الجناح الأيمن للقوات الأمريكية «الجنرال لنكولن» وإذ كان هذا الجناح أمنع من أن يؤخذ، فقد وجه الجنرال الانكليزي «بورغوين» جهده الرئيسي لمهاجمة الجناح الأيسر بقوة (١٥٠٠) محارب و(٦) مدافع من عيارات مختلفة، وصحبه في هذا الهجوم الجنرالان «فيليب –و– فرايزر». وكان كتابه قد وصل إلى الجنرال «كلانتون» يوم ٥ تشرين الأول –اكتوبر– وامكن لهذا الجنرال الاستيلاء على الحصنين الأمريكيين يوم ٦ تشرين الأول. ثم قام بتدمير السفن الأمريكية في النهر، وأعد سفنه لنقل الامداد من أجل دعم «بورغوين» وتنفيذ التعليمات الواردة إليه من قائده. وكان في هذه المرحلة قد أصبح على بعد (١٥٠) ميلاً من «بورغوين» فدفع أمامه مقدمة تضم (١٧٠٠) جندي تقدموا حتى وصلوا على مسافة أربعين ميلاً من «آلباني» ولكن «بورغوين» لم يكن يعرف بكل هذه التطورات، ولهذا فإنه لم يتمهل في خوض المعركة، وصمم على زج قواته دون أي انتظار لوصول الدعم.

قاد «بورغوين» قوة من (١٥٠٠) جندي، وتقدم بها من مواقع القوات الأمريكية التي كان يقودها «غيث» حتى وصل على بعد مسافة ثلاثة أرباع الميل، ونظم هجومه فأسند قيادة القوات النظامية للرائد – الميجر – أوكلاند. كما أسند قيادة المدفعية للرائد «وليمز» وكان معه في القلب الجنود الألمان «الهايس» بقيادة «الجنرال فرايزر». فلما عرف الجنرال الأمريكي «غيث» بزحف القوات الانكليزية، صمم على عدم الانتظار، وأراد الامساك بالمبادأة، فقاد قواته للهجوم، ودفع نسقاً

«بقيادة الجنرال بور والجنرال ليونارد» بمهمة مجابهة الجناح الأيسر للقوات الانكليزية. كما أرسل «الجنرال مورغان» قوة من (١٥٠٠) مقاتل للقيام بحركة التفاف من حول هذا الجناح الأيسر.

امتد القتال بسرعة حتى شمل خط الجبهة بكامله، وأظهرت القوات المشتبكة على طرفي خط الصراع، عناداً وتصميماً كبيرين لانتزاع النصر، واستطاع المقاتلون الأمريكيون انتزاع مدفع من الجنود الانكليز ووجهوه ضدهم. كما أمكن لهم أسر «الميجر أوكلاند» و«الميجر وليمز» فتعزز موقف الأمريكيين بهذا الفوز. غير ان مركز ثقل الهجوم للقوات الانكليزية - الوسط - بقي محافظاً على ثباته. وأثناء ذلك كانت القوات الأمريكية تتابع تقدمها محاولة الإحاطة بالجناح الأيمن للقوات الانكليزية، فتراجع الانكليز، وأعادوا تنظيم خط هجومهم بشكل مائل يستند إلى النهر. فأمكن لهم بذلك إيقاف انهيار خط الهجوم الانكليزي بكامله، وعدم السماح للمقاتلين الأمريكيين بتمزيق هذا الخط. وعزل قواته بعضها عن بعض.

كان الجنرال الأمريكي «أرنولد» قد تنازع مع الجنرال «غيث» بسبب اختلاف وجهات النظر في إدارة معركة يوم ١٩ - أيلول - سبتمبر (والتي سبقت الإشارة اليها). فما كان من «غيث» إلا أن عزل «ارنولد» عن قيادته منذ بدء المعركة. ولكن ما أن اشتدت المعركة، وتم تصعيد القتال، حتى تجاوز خصومته الشخصية مع قائده. وامتطى صهوة جواده، واندفع إلى خطوط القتال، واخذ في اثارة حماسة جنوده، فكان لذلك دوره الكبير في رفع الروح المعنوية للمقاتلين، وتحريضهم على الحرب.

تابعت القوات الانكليزية صراعها بكفاءة عالية، وشجاعة نادرة، واعاد الجنرال فرايزر تنظيم القوات، واثار حماستها للقتال، وكان يتقدمها بملابسه الرسمية، ضارباً المثل في الاقدام والشجاعة، معرضاً نفسه لرصاص الأمريكيين الذين بات باستطاعتهم تمييزه بسهولة وهو في ثيابه الزاهية الألوان. وعبثاً ألح عليه القائد «بورغوين» ان يتجنب مواقف الخطر، لأن سلامته ضرورية لنجاح الحملة، غير ان «فرايزر» رفض الانسحاب أو حتى تغيير ملابسه فسدد مهرة الرماة الأمريكيين رصاصهم إليه، فأصابوه، وتم حمله إلى خيمة الجرحى. واضطر الجنود الانكليز للتراجع، بعد أن انتشرت الفوضى في ميسرة قواتهم وقلبها. غير ان جند المشاة الانكليز نجحوا في ايقاف اندفاعة المقاتلين الأمريكيين واعاقة تقدمهم، فتوافرت بذلك الفرصة أمام القوات الانكليزية للانسحاب بنظام تام، ولكنها اضطرت لترك

ستة مدافع سليمة فوق ميدان المعركة ، بالإضافة إلى عدد من الجرحى . وظلت المدافع الانكليزية تطلق نيرانها على القوات الأمريكية حتى نجح أفراد هذه القوات بإبادة سدنة المدافع ، والاستيلاء عليها .

تمزق النسق الأول للقوات الانكليزية والذي تولى قيادته « بورغوين » غير أن ذلك لم يضع حداً نهائياً للمعركة . فقد تابعت القوات الأمريكية تقدمها حتى وصلت إلى مواقع القوات الانكليزية ، وتولى الجنرال « أرنولد » قيادة الهجوم ضد موقع « بلكارس » الحصين ، فصمد له الانكليز ، واستمر الصراع بضراوة حتى غروب الشمس ، وعندئذ نظم « ارنولد » قوة من الفدائيين واقتحم بهم موقع « بلكارس » غير ان ارنولد أصيب بجرح بالغ في قدمه ، فتم ابعاده عن ميدان المعركة ، وحمله إلى خيمة المستوصف .

وتابع جنوده المعركة ضد القوات الانكليزية التي صمدت في مواقعها ، وأظهرت عناداً كبيراً مما اضطر المقاتلين الأمريكيين إلى الانسحاب . على أن هجوم القوات الأمريكية في غير هذا الموقع كان أكثر نجاحاً .

فقد أمكن لها اختراق شبكة من الحواجز والخنادق الألمانية . ودافع الألمان عن مواقعهم ولم يستسلموا حتى تمت ابادتهم ، وحتى قتل قائدهم « بريمن » . وغنم الأمريكيون غنائم كثيرة ، كان أهمها ما كانوا يحتاجون إليه من الذخائر الوفيرة . واضطر جناح القوات الانكليزية بنتيجة ذلك للانسحاب ، على حين تابعت القوات الأمريكية مطاردة الانكليز وضرب مؤخراتهم . ووجد « بورغوين » انه أمام كارثة حقيقية ، فحاول انقاذ ما يمكن انقاذه ، وعمل في الليل على تغيير مواقعه ، وأمكن له تنفيذ هذه العملية بنجاح رائع ، فانتقل إلى هضبة تشرف على نهر هدسن « هدصن » ولكن القائد « غيث » كان يترصد حركاته ، فأسرع إلى ضرب حصار حول مواقع القوات البريطانية الجديدة ، وعزلها عن كل امداد وتموين ، وتركها نهباً للجوع حتى يرغمها على الاستسلام .

أرسل « بورغوين » كتاباً إلى القائد الأمريكي « غيث » يوم ١٣ تشرين الأول — اكتوبر — يسأله فيه ايقاف القتال . فرد عليه « غيث » بطلب الاستسلام دون قيد أو شرط — وأجاب « بورغوين » بأنه من المحال عليه قبول ذلك بسبب الحالة النفسية لجنوده . واستمرت الاتصالات إلى أن تم الاتفاق على السماح للقوات الانكليزية بعبور نهر « هدصن » إلى الضفة الشرقية ، وهناك يطرحون سلاحهم أرضاً بأمر قائدهم

«بورغوين» . ثم يصير نقلهم إلى انكلترا ، متعهدين بعدم الرجوع إلى هذا الميدان حتى تنتهي الحرب بين الأمريكيين والانكليز . وفي يوم ١٧ تشرين الأول – اكتوبر – ١٧٧٧ ، عبرت القوات الانكليزية النهر ، وسلم أفرادها أسلحتهم ، وأسرهم الأمريكيون ، غير أن القيادة الانكليزية نكثت بالتزامها ، كما هي عادتها ، فلم ترسل الجنود إلى انكلترا . وابقت عليهم في أمريكا للافادة من قدراتهم القتالية في المعارك التالية .

«حيثما يمكن أن يجدِ كل جزء مصلحة كبيرة في الاتحاد ، فإن كل أجزاء وطننا ستستطيع أن تجد استقلالاً كبيراً ، بسبب الكثرة الهائلة من الانتاج المتعدد الألوان تبعاً لتباين الجو والتربة» جورج واشنطن في خطبة الوداع .

الفصل الثاني

١ – واشنطن وبناء الدولة .

٢ – موقف واشنطن من الجيش .

١ — واشنطن وبناء الدولة :

انتصرت قوات الثورة الأمريكية ، واعترفت انكلترا باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية عنها . وانصرف المقاتلون إلى حياة السلم في مزارعهم ومصانعهم ، وأراد قائد الحرب وبطل الاستقلال الذهاب إلى مزرعته ليعيش حياته الخاصة التي طالما افتقدها ، وطالما شعر بالحنين إليها ، عندما كان يعيش في ضجيج الحرب ، ووسط دخان البارود ورائحته الكريهة . غير ان الحريصين على استمرار نهج الثورة ، وجدوا انه ما من أحد يحرص على بناء البلاد كمثل أولئك الذين حملوا السلاح للدفاع عنها ، والذين برهنوا انهم على استعداد للتضحية بكل شيء ، وحتى بوجودهم من أجلها ، واتجهت الأنظار إلى المنقذ ، واستجاب «واشنطن» لرغبة مواطنيه ، على كره منه . ومضى بعزم لا يلين لبناء وطن المستقبل . وبدأت المصاعب تبرز تباعاً . وأخذ «واشنطن» في البحث عمن يساعده على مجابهة هذه المصاعب . وقد يكون من المناسب التوقف قليلاً عند بعض مقولات قادة واشنطن — من السياسيين ، والذين كان لهم دورهم في وضع أساس بناء المجتمع الأمريكي ، في فجر استقلاله .

«على الذين يملكون البلد ان يحكموه» ذلك هو أول مبدأ اطلقه — جون جاي —[٥٠] عند قيام الجمهورية الأمريكية . ثم ها هو «الحاكم موريس»[٥١]

(٥٠) جون جاي : (JOHN-JAY) (١٧٤٥ — ١٨٢٩) محامي . وهو المساهم الأكبر في وضع أول دستور لولاية نيويورك . عين وزيراً للشئون الخارجية . ثم رئيساً لأول محكمة عليا في الولايات المتحدة .

(٥١) الحاكم موريس : (GOUVERNEUR. G. MORRIS) (١٧٥٢ — ١٨١٦) كان محامياً ، ثم عضواً منتدباً للمؤتمر الاتحادي — القاري — فوزيراً مفوضاً في فرنسا ، ثم عضواً في مجلس الشيوخ .

يوضح أسلوب هذا الحكم بقوله : «ما وجد قط ، ولن يوجد مجتمع متمدن بلا ارستقراطية... ينبغي أن يكون عضو مجلس الشيوخ غنياً ، وان يتسم بروح ارستقراطية ، وأن يظهر ارستقراطيته هذه بفخر واعتزاز...

كما ينبغي أن يكون مستقلاً ، ولا سبيل إلى استقلاله إلا إذا سمي عضواً في المجلس مدى الحياة ... قد يقول بعضهم غير ذلك ، لكنه في هذه الحال مخطئ في قوله . وهذا ما اعتقده بل ما أطمح إليه.. ان الأغنياء يبذلون الجهود لتوطيد سيطرتهم . ولوضع اعناق سائر أفراد الشعب في النير ، هذا ما فعلوه ، وهذا ما سيفعلونه دائماً ، والضمانة الوحيدة للوقوف ضدهم هي في جعلهم طبقة منفردة ، لها مصالح منفصلة خاصة بها . وهكذا تستطيع القوتان ، قوة الشعب ، وقوة الطبقة الارستقراطية أن تتوازنا».

جاء بعد ذلك «الكسندر هاملتون»[٥٢] ليمارس الدور الأساسي والحاسم في ارساء قواعد المجتمع الجديد . فكان من أبرز أقواله : «الأغنياء وأبناء الأسر الكبيرة هم وحدهم القادرون على النهوض باعباء حكومة جيدة ، ذلك لأن التغيير لا يستطيع أن يحمل إليهم أي مكسب».

لقد كان هاملتون من رجال النظام الأمريكي الذين قاموا بالدور الأول في الحرب. هذا الرجل الذي امتلك المفهوم الأوضح والأكمل انحدر من أسرة جد متواضعة ، وبزواجه دخل المجتمع المالي الثري ، وخدم مصالح هذا المجتمع بأفضل

---

(٥٢) الكسندر هاملتون : (HAMILTON (ALEXANDER)) رجل دولة أمريكي ، من مواليد جزيرة نيفيس (NEVIS) في الانتيل (ANTILLES) عاش في الفترة (١٧٥٧ – ١٨٠٤) . كان والده فقيراً ، وماتت أمه وهو في الحادية عشرة من عمره (١٧٦٨) فعمل كاتباً في متجر عمومي ، ثم ارتحل إلى نيويورك حيث التحق بجامعة الملك (جامعة كولومبيا فيما بعد) سنة ١٧٧٣ . وفي أقل من عام انغمر في خضم حرب النشرات التي سبقت الثورة الأمريكية . ونال شهرة ككاتب من أقوى وأعنف كتاب عصره . وفي عام ١٧٧٦ انضم إلى الجيش ، وخاض إلى جانب واشنطن معارك «لونج ايسلند ، وهوايت بلينز وترنتون . ولم يكن هاملتون مستشاراً لواشنطن فحسب ، بل كان أيضاً الكاتب لسلسلة من التقارير عن تنظيم الجيش وإدارته . كانت حياته سلسلة من المآسي المتصلة ، وخاصة بعد سنة ١٨٠٠ ، فقد قتل ابنه الأكبر فيليب في مبارزة ، وجنت ابنته انجليكا . وقد خاض معركة الانتخابات سنة ١٨٠٤ إلى جانب جيفرسون ، وأدى ذلك إلى اصطدامه بمنافس الرئيس الأمريكي (هارون بور) وحدثت بينهما مبارزة في مرتفعات جيرسي قرب ونهوكن . وأصابت رصاصة كبد (هاملتون) فلم يلبث أن قضى نحبه.

مما خدمه أبناء الأسر الغنية. وبنجاح وتفوق وفاعلية. كان نقيباً في سلاح المدفعية، ثم عقيداً، إلى أن أصبح مرافقاً للجنرال جورج واشنطن الذي عينه بعد ذلك وزيراً للخزانة في أول حكومة تألفت في الجمهورية الفتية. وفي وزارته هذه استطاع أن يرسي القواعد الإقتصادية لبلد كان في أساسه بلداً زراعياً، إلا أنه سرعان ما سار على درب التصنيع بتأثير هذا الرجل وقوة دفعه، ولعله، على انحداره من أسرة فقيرة جداً، أكثر اقتناعاً من أصحاب الامتيازات بضرورة تطبيق إجراءات الحماية الجمركية والنظام المالي اللذين لا بد منهما للازدهار. فبدأ في حياته، كما لا يزال حتى الآن مثالاً لجميع الذين قدر لهم أن يتحملوا أعباء الدولة. وكان لا بد لهاملتون وهو الذي يجسد فضائل النظام والسلطة، قيم اليمين الخالدة، من أن يصطدم بتوماس جفرسون – الذي أصبح فيما بعد رئيساً للولايات المتحدة سنة ١٨٠٤ – وهو المالك للعبيد، والذي جعل من نفسه بطلاً للحريات والتقدم الاجتماعي. واضطر «هاملتون» حيال ضغط الأحداث إلى أن يرخي العنان قليلاً للمطالب الشعبية، ويقدم بعض التنازلات للديمقراطية، إلا انه وقف جل اهتمامه وعنايته، على إقامة حكومة قوية، وعلى تطوير صناعة متينة تقيم صلات وثيقة بين الأعمال والشؤون الخاصة والسلطات العامة: مما جعل الكفاح بين الرجلين مريراً، لا هوادة فيه، مع كل ما رافقه من موكب القدح والسباب، والنمائم والتهديد، والهجمات العنيفة المتبادلة في الصحف.

انقسم الأمريكيون في هذه المعركة إلى معسكرين، ما يزال التنازع بينهما مستمراً حتى ايامنا. في البدء كان يقف من جهة التجار الكبار ورجال القانون وضباط الجيش الاتحادي – القاري –. والوجهاء. بينما يقف في الجهة الثانية الفلاحون والعمال الحرفيون الذين أثقلتهم الحرب بالديون، وجند الجيش الذي حل بعد انتهاء الحرب، وكل فرد يقدم قدرة عمله بأجر زهيد، وهؤلاء جميعاً أكثر عدداً من أنصار الطرف الآخر، لكنهم أضعف. **فأين كان يقف جورج واشنطن؟.**

كان الرئيس «جورج واشنطن» وهو الأقرب إلى المعسكر الأول، يعتقد أنه يستطيع أن يحكم البلاد، كما كان يدير مزرعته (ألف هكتار و ١٣٥ عبداً) أو كما كان يقود جيشه. والشكوك والوساوس التي كانت تثيرها في نفسه خطط هاملتون المالية، سرعان ما كانت تتبدد أمام اهتمامه في اظهار حزمه حيال اهتياج الجماهير الشعبية، فقد كانت هذه، على قلة وعيها لقدرتها السياسية، تهدد النظام القائم. وابتداء من ذلك الحين، زال كل تردد، وألقى واشنطن بكل ثقله في كفة الميزان،

داعماً هاملتون ، واقفاً إلى جانبه . ففلسفة وزير الخزانة تتلخص في هذه الكلمات التي كان يؤكد بها : ان السلطة يجب أن تقوم على رجال المال ، لأنهم أعقل أصدقاء الحكم الجيد . وواشنطن كان يريد «حكومة جيدة» وهذا ما لم يشك فيه أحد .

لم تبدأ حرب الاستقلال في سنة ١٧٧٥ ، فقد عرفت المستعمرات انتفاضات واضطرابات مثيرة ، طوال الفترة ما بين سنة ١٧٦٤ و ١٧٧٤ . وقد حمل الشعب السلاح لا من أجل تدعيم امتيازات الأكثر ثراء ، وانما من أجل توزيع أفضل للثروة ، وقد صهرت نار حرب الاستقلال تلك التناقضات ، التي لم تلبث ان برزت بصورة حادة مع صمت البواريد وانقشاع سحب ضباب الحرب ، ازداد الأمر سوءاً ، واشتد نذير الثورة وزئيرها ، في الأخص ، عندما ألفى الجنود المسرحون بعد عودتهم ، في عام ١٧٨٣ ، مزارعهم مهملة مهجورة ، والأجور منخفضة ، وركودا اقتصادياً بالغ القسوة . وكان عدد كبير منهم ، قد اشتروا ، لدعم المجهود الحربي ، سندات صادرة عن الدولة ومدفوعة (بالدولار الورقي الاتحادي) وهي السندات التي انخفضت قيمتها حتى (٩٠) بالمائة . وبعد تسريحهم ، كان معظمهم مهددين بالسجن لعجزهم عن وفاء ديونهم التي طالبوا بتأجيلها ، إنما بلا جدوى . فقام مئات الرجال المسلحين بمهاجمة المحاكم . وتفاقمت نار الثورة مع بداية سنة ١٧٨٧ . غير أن قوات الحكومة نجحت في القضاء على ثورة المتمردين ، ولكنها لم تنجح في اخماد جذوة الثورة . وإذ ذاك ظهر اتجاهان لمعالجة الأزمة الناشبة : فاما الاستجابة لمطالب شعب يرزح تحت عبء البؤس والدين ، وهذا ما يفترض تحديد امتيازات المال والثراء . واما توطيد الأمن بفضل حكومة تعتمد كل الاعتماد على أصحاب الثروات الكبيرة . واختير السبيل الثاني الذي رافقه اصدار تشريعات اصلاحية للتخفيف من بؤس الفقراء ، واعفائهم من الديون . وهنا عاد «هاملتون» للظهور لمعالجة أزمة عدم الاستقرار ، فكتب إلى واشنطن رسالة في سنة ١٧٩٤ جاء فيها : «انه تعلم منذ زمن طويل ، أن يعتبر الرأي العام شيئاً لا قيمة له» وفي خطاب له في الجمعية الدستورية استمر خمس ساعات ، استنبط النتائج الأساسية التي يستطيع الخروج بها ، من حذره هذا من الرأي العام . ولذلك فقد اقترح انتخاب رئيس لمدى الحياة ، وحكومات يسميها الرئيس لمدى الحياة أيضاً ، وكذلك أعضاء مجلس الشيوخ يختارهم الملاكون مدى الحياة . فهل كان هاملتون يريد إقامة نظام ملكي ؟ وما هو موقف الرئيس جورج واشنطن ؟ .

كان «هاملتون» يدرك يقيناً أن العقلية السائدة في أمريكا لا تتيح الأخذ بنظام ملكي . إلا أنه رغب ، على الأقل الا يسد الدستور ، الذي سيوضع ويقر الطريق على نظام ملكي ، سيرى هاملتون فيما بعد ألا يكون وراثياً .ويضيف : «واني لأشعر شعوراً واضحاً ، أن من الحمق التفكير ، في أيامنا ، بنظام غير النظام الجمهوري . لكنني – وآراء الكثير من الرجال والحكماء والصالحين تدعمني – لا أتردد في الجهر بأن نظام الحكم الانكليزي – الملكي – هو أفضل أنظمة الحكم جميعاً».

هكذا كان أيضاً شعور «جورج واشنطن» وهو القائل : «**انني أرى كل الرأي ، ان الذين يميلون إلى الملكية ، لم يستشيروا الرأي العام. اننا لم نبلغ زمناً نستطيع فيه الأخذ بالنظام الملكي ، إلا بتزعزع السلام في هذا البلد ، حتى أسسه ، إنما ينبغي اصلاح النظام الحالي ، وإذا ما استمر ، بعد الاصلاح ، على نقص فاعليته .فسيسود الاعتقاد جميع طبقات الشعب ان التغيير ضروري عندئذ ، وعندئذ فحسب ، نستطيع تجربة النظام الملكي ، كما أرى ، دونما اندلاع نار حرب أهلية**».

لقد كان «جورج واشنطن» هو المرشح الوحيد لحمل «التاج الملكي» غير انه يرفض هذا التاج الذي قد يسبب اضطراب المجتمع الذي يعمل هو – أي واشنطن – لتحقيق الاستقرار فيه . وهو يعرف ان أفراد الشعب يرفضون النظام الملكي الذي يرتبط في أذهانهم بالظلم والاضطهاد ، الأمر الذي دفعهم للهرب من مواطنهم الأصلية في أوروبا ، بحثاً عن الحرية في المعتقد والحرية في العمل ، والمساواة في الديموقراطية والمشاركة في الحكم . ومن هذا المنطلق ذاته ، وقف جورج واشنطن ، ليدعم مطالب المواطنين في مشاركة الأغنياء للجنود بتحمل نفقات القروض ، فقال مقولته الشهيرة :

«**كانت القروض كلها من أجل القضية المشتركة ، فلماذا لا تتحملها الحكومة التي هي للجميع ؟**».

وتحملت الحكومة نصيبها ، وتحمل الأغنياء نصيبهم ، إذ تم جمع الأموال منهم لدفع رواتب الجنود المستحقة لهم ، وشراء سندات القروض منهم حتى لا يتحملوا وحدهم انخفاض قيمتها الناجمة في الأصل عن مضاربات (الأغنياء) الذين كانوا يبحثون – دائماً – عن الثراء غير المشروع بأقرب الطرق منالاً ، وأسرعها مردوداً ، بصرف النظر عما يسببه ذلك من بؤس للفقراء .

لقد كان «جورج واشنطن» صورة لعصره ، ومرآة لمجتمعه ، وهو المجتمع الذي ضم «الطهريين» الذين هربوا من طغيان الكنيسة القائمة في انكلترا ، ثم عملوا على اقامة مجتمعهم وفقاً للمبدأ الوحيد الذي يعرفونه ، أي اتحاد الكنيسة والدولة ، عبر شكل حكم يناسب الكنيسة والمجتمع . والممثل برفض الديموقراطية وحكم الشعب ، وهو ما تبرزه مقولتهم التالية : «إذا حكم الشعب ، فمن سيكون المحكوم ؟ ان أشكال الحكم هي تلك التي توصي بها الكتب المقدسة وتؤيدها ، انها حكم الارستقراطية والملكية» . وإلى جانب هؤلاء ، كانت هناك فئة المغامرين التي جاءت إلى امريكا : «بحثاً عن الذهب ، وصقل الذهب وتصفيته ونقله» . وهذه الفئة تطمع في ممارسة عملها بعيداً عن كل قيد ، وتطمح «للديموقراطية» التي تحررها من كل الأعباء والالتزامات . ومن هذا الخليط الغريب تكون تراث أمريكا الروحي والسياسي الكثير التباين ، واختلط وتمازج خلال مجابهة مستمرة ليعطي الحكم الأمريكي لونه المتموج .

ذلك هو «المجتمع الأمريكي» الذي تولى «واشنطن» قيادته ، أما مجتمعه الخاص – أو المجتمع الفرجيني – فقد اتخذ سمة خاصة مثلها جورج واشنطن أفضل تمثيل ثم جاء جفرسون من بعده ليسير على النهج ذاته .

بدت ولاية فرجينيا في القرن السابع عشر وهي تجهد وتجد لنسخ صورة طبق الأصل عن مؤسسات انكلترا واعرافها ، وهنا لا شيء من تصلب الطهريين وتزمتهم ، ولا شيء من مثلهم الأعلى . فالفرجينيون ، وفي السنوات القريبة من العام (١٦٠٠) أناس حسنو السلوك ، يملأ اهابهم احترام العرش والكنيسة والتقاليد ، ويدعون إلى الحذر الشديد من النحل (أو المذاهب) المنشقة ، والبابويين . وعقليتهم الارستقراطية تحمل على النظر بعين الريبة إلى الطهريين والحجاج والمغامرين على السواء . وهكذا ظلت ولاية فرجينيا الموئل الذي يتواعد على الالتقاء فيه المهاجرون الراغبون في أن يجدوا المجتمع الانكليزي في أمريكا .

وعندما أطاحت الثورة الانكليزية بشارل الأول ، ظلت فرجينيا على ولائها للملوك . ووجد فرسان الملك فيها موئلاً وملجأ . وقد قصرت حق الانتخاب على من يملك ، وتفادت توزيع الثروات بتوريث البكر فحسب .

والطبقة الارستقراطية فيها تحتل كل المناصب والوظائف العامة . وكانت فرجينيا

بنظامها هذا ، أغنى بالسادة منها بالعاملين . إلا أنها احتاجت إلى أيد عاملة وجدتها بين العبيد ، وهؤلاء العبيد لم يكونوا جميعاً من السود ، بل من البيض أيضاً الذين غدت التجارة فيهم جد رابحة ، وكانوا من المتسولين والمشردين وطريدي العدالة ، يبيعون أنفسهم لسيد لمدة أربع سنوات أو سبع ، ليتمكنوا من دفع ثمن ركوب السفينة ، هاربين من انكلترا . وكان ثلثا سكان ولاية فرجينيا في أوائل عهدها ، من هؤلاء الخدم – العبيد – .

وكان عليهم أن يقسموا يمين الولاء للملك أمام قاض كبير ، ثم يباعون ، لتوهم ، بعشر ليرات أو عشرين ، أو يسلمون إلى قائد يجوب بهم وهم مقيدون بالسلاسل أرجاء البلاد ، إلى أن يلقى من يشتريهم . كان زهاء (٣٥) ألفاً منهم من البريطانيين الذين خفف أو بدل حكم الاعدام عليهم . وكانوا عند انتهاء المدة التي ابتيعوا ليقضوها في العبودية ، اما أن يغامروا بالتوغل نحو الغرب ، واما أن يمكثوا حيث هم مهضومي الحقوق .

ثم ينتهي بهم الأمر إلى أن يفضل ملاكو الأراضي العبيد السود عليهم . فهؤلاء ملك سادتهم مدى الحياة ، ولهذا فهم رأس مال من الخير رعايته واستثماره ، وهم يحظون بمعاملة أفضل من معاملة العبيد البيض الذين يفقدون كل قيمة شرائية أو تجارية يوم يستردون حريتهم . ويذكر أن عدد سكان ولاية فرجينيا عند اعلان الثورة بلغ (٧٤٨) ألفاً بلغ عدد العبيد منهم (٢٠٠) ألف ، وجميعهم متوزعون في المزارع ، ولا يتجمعون . ولم يكن مجتمع فرجينيا ، على أرستقراطيته . متصلباً . وكان يكفي أن يحتل المرء الأرض ويزرعها ليصل إلى مرتبة الملاك ، ويرسي أسس ثروة جديدة . ولم تكن الأسر الارستقراطية تحتكر ملكية الأرض . فثمة اتجاه إذاً إلى بعض المساواة في الشروط الاجتماعية . وهكذا نما شكل من أشكال الديموقراطية الزراعية ، حيث ترتبط حرية كل فرد بالأرض التي يزرعها . بينما تعالج المسائل والقضايا المشتركة داخل نطاق مجالس محلية صغيرة ، يتعارف أعضاؤها ، ويرون بعضهم في بعض جيراناً يعملون في مجالات نشاط واحد . وظل هذا المجتمع ، بالرغم من اجتياح التصنيع له ، محافظاً على قوته وحيويته ، ترعاه الآفاق العريضة التي تفتحها أراضي الغرب ، حيث يبدو لكل امرئ أنه يجد مكاناً له تحت الشمس .

لم يكن «جورج واشنطن» بعيداً عن هذا المفهوم الديموقراطي ، إلا أنه بدا أكثر تأثراً بفضائل النظام والسلطة والانضباط التي أفرزها المجتمع الفرجيني ، وهو

المضفي عليها شأناً أكبر . ولا سيما أن الإمكانات الجديدة التي اتاحتها الثورة الصناعية – في ظروف الحرب – تقتضي وجود تنظيم في المصانع قادر على اخضاع الفردية الأرضية لمتطلبات الآلة والانتاج .

لقد تطلبت إدارة البلاد ، في فجر استقلالها ، ومع ما تضمه من تناقضات مثيرة ، كفاءة عالية تحقق التوازن بين الديموقراطية والملكية المستبدة ، بين الحكم الشعبي والحكم الثيوقراطي ، بين تحكم رأس المال وتحقيق العدالة الاجتماعية . بين قوى التمرد الدائم وقوى الاستقرار .

وقد استطاع «جورج واشنطن» تحقيق مثل هذا التوازن ، آخذاً في حكمه بما عبر عنه «هاملتون» بقوله : «**لنتفادَ الطغيان ، فالحزم شيء جد مختلف عن العنف**» . وكان الحوار بين الطغيان الذي تمثله السلطة وبين العنف الذي تمثله قوى التمرد والثورة ، حواراً مستمراً . وقد أمكن لجورج واشنطن ، عبر هذا الحوار . إرساء قواعد الديموقراطية والحرية والسلطة في اطار من التوازن المذهل الذي لا يزال يرسل بظلاله المتقدمة نحو آفاق المستقبل .

٢ – موقف واشنطن من الجيش :

تولى جورج واشنطن قيادة الجيش وإدارة الحرب في سنة (١٧٧٥) وكان هذا الجيش يعتمد في أساسه على ما تقدمه الولايات من متطوعي الميليشيا غير النظاميين ، وكانت أوروبا قد عرفت أيام حرب الوراثة الاسبانية وحرب السبع سنوات من أمثال هؤلاء المقاتلين الذين كانوا امتداداً لمقاتلي القرن السادس عشر ، وقد اشتهر أمرهم بما كانوا يثيرونه من الفوضى والاضطراب مما دفع الشاعر دريدن لوصف جنود الميليشيا هؤلاء بقوله :

إن الأرض لتمتليء بصرخات الفزع العالية .
عندما ينساب جنود الميليشيا في الحقول .
انهم أفواه بلا أيد ، يتطلب اطعامها النفقات الهائلة .
وهم في السلم يهاجمون ويهددون .
فإذا جاءت الحرب فإنهم يهربون وعن البلاد لا يدافعون .
انهم يسيرون مرة كل شهر خلف الموسيقى الصاخبة .

ودائماً هم في المقدمة يسيرون .
إلا إذا كانت هناك حاجة ملحة لسواعدهم فإنهم يتقاعسون (*) .

ولم يكن موقف هؤلاء الميليشيا عندما تولى واشنطن **القيادة العامة .** بأفضل من موقفهم عندما كانوا يعملون على المسرح الأوروبي . وقد عارض النظام والسلطة أكثر طبقات الجيش شعبية مما دفع واشنطن القائد العام ،والحاكم بقوة عسكرية كاملة الانضباط ، إلى التذمر من هذه المعارضة تذمراً مريراً . فكتب يقول : « **لم يرفض الحرس الوطني اطاعة أوامر الضباط فحسب ، بل ان رجاله عبروا عن ارتياح كبير لنبأ اقتراب العدو ، ولنا ما يبرر خوفنا من أن يوجهوا سلاحهم إلينا في اول مناسبة ، بدلاً من استخدامه للدفاع عنا** » . وعندما فوجئت القوات الأمريكية في ٢٧ آب أغسطس ١٧٧٦ ، وطوقت ، فتشتتت وتمزقت تاركة بين أيدي البريطانيين أكثر من ألف أسير ، بينهم ثلاثة جنرالات ، كتب إلى الكونغرس : « **انني ، بأعمق الأسى والألم ، أرى نفسي مضطراً إلى الاعتراف لكم بضعف ثقتي في جموع جيشي كلها تقريباً** » . ويعود واشنطن مرة أخرى لمعالجة هذا الموضوع فيكتب : « **إذا دعيت إلى الجواب ، وأنا أقسم اليمين عن السؤال : هل كان الحرس الوطني نافعاً أو ضاراً ؟ لما ترددت في الرأي الثاني** » (**) .

غير انه لم يكن أمام واشنطن خيار آخر ، فقد كان مرغماً على تجنيد قوات الميليشيا واستخدامها في حربه للافادة من قدرتها البشرية وطاقتها القتالية . ولهذا فقد أقبل على « فون شتيبن » بحماسة ، ودفعه إلى تكوين القوات النظامية وتدريبها والاهتمام بتسليحها وامدادها .

وقد ظهر من خلال العرض السابق لتطور « جيش واشنطن » انه تم اتباع طريقين في وقت واحد :

(أ) زيادة قوة الجيش النظامي في مختلف الفروع (المشاة والمدفعية والمهندسين والخيالة) .

(*) رواد الاستراتيجية – ميدايرل – ص ٤٦ الجزء الثاني .
(**) الحلم والتاريخ – كلود جوليان – ص ٢٥٩ – ٢٦٤ .

(ب) – تنظيم قوات الميليشيا وتأمين امدادها وتموينها ، والاهتمام بمتطلباتها لازالة أسباب النقمة .

وهنا يبرز أيضاً دور «جورج واشنطن» في تحقيق التوازن بين «الحق والواجب» ، فهو لا يستطيع مطالبة الميليشيا الاقدام على تقديم التضحيات بدون أن يضمن لهم تأمين متطلباتهم الأساسية .

لقد أبرز العرض السابق لتطور جيش حرب الاستقلال ، ان جورج واشنطن لم يأل جهداً في البحث عن أسباب ضعف الميليشيات ، وتبين له ان هناك عوامل كثيرة ومتباينة ، مثل : توافر مشاعر الولاء للانكليز ، وفردية المقاتلين الذين اعتادوا على نمط الحياة الحرة في الصراع على الحدود ، ورغبة أفراد الميليشيا في الدفاع عن حدود ولايتهم وعدم الانتقال إلى ولاية أخرى نتيجة ضعف الروابط بين الولايات بعضها مع بعض ، وعدم توافر حوافز وطنية أو قومية ، كل ذلك مضافاً إلى رغبة (العبيد) في التحرر . وقد رحب واشنطن بدخول العبيد في الجيش ، إلا انه تمهل في قطع وعد حاسم بتحريرهم . هذا بالإضافة أيضاً إلى ضعف الرواتب ، الأمر الذي دفع الكونغرس إلى زيادة رواتب الجنود الذين يتطوعون حتى نهاية الحرب . وعلى منحهم أراضي للزراعة .

وقد عمل «واشنطن» على وضع الحلول لمعظم هذه المشكلات ، أما بالنسبة لتحرير العبيد ، فقدكان واشنطن يرى : «بأن العبودية تعني تطور نظامين في الولايات المتحدة ، يبلغ التناقض الجذري بينهما ، اجتماعياً واقتصادياً ، ما لا بد لهما معه من أن يؤديا إلى الصراع من أجل السيطرة السياسية التي يخشى واشنطن من أن تجعل الاتحاد في خطر ، وهو ، لهذا السبب ، لا يرغب في أن تعرض مسألة العبودية في مداولات المؤتمر (الكونغرس) الأول ومناقشاته . لأنه يقدر طاقتها المفجرة . ولا يعتقد أن الاتحاد أو الحكومة قادرتان على مقاومة الأزمة التي ستنجم عن ذلك .

أما الخطة التي كان يؤيدها ، فهي تتضمن رقابة على استيراد العبيد أولاً ، يتبعها انعتاق تدريجي مع تعويضات مرضية للملاكين ، وتعليم يلائم أوضاع العبيد . وعندما توفيت زوجته ، أمر باعتاق عبيده ، وقبل أن وافته المنية ، قام بكل ما في وسعه لاقناع مواطنيه بوجهات نظره من مسألة اعتاق العبيد وتحريرهم» .

لقد كان جورج واشنطن يرغب في تحرير العبيد تدريجياً ، الأمر الذي عبر عنه بقوله :

« **إما أن يكون امرؤ ما عبداً أو لا يكون** » وهو ما أبرزه أيضاً في رسالته التي كتبها في ١٢ نيسان – ابريل – ١٧٨٦ ، وجاء فيها ما يلي :

« **اكتب إليك تلبية لرجاء السيد دلبي ، وهو من الاسكندرية ، فقد استدعي الى – فيلادلفيا – لدعوى يراها جد مزعجة ، بشأن أحد عبيده ، حاولت جمعية من جمعيات الكويكرز اعتاقه .**

وأستطيع القول : ليس في العالم بأسره من هو أشد رغبة مني في الغاء الاسترقاق ، إنما ينبغي أن تكون الوسيلة الوحيدة إلى ذلك ، الفعالة والصالحة ، هي السلطة التشريعية ، وإذا لم يكن هذا منوطاً إلا بي ، فإني لن اقصر في ذلك – لكن عندما يغرون عبيداً يشعرون بأنهم مسرورون وسعداء عند سادتهم ، وعندما يفاجأ مالكوهم بفرارهم . وعندما تؤدي حملات كهذه إلى الاستياء من جهة . وإلى الحقد من جهة ثانية . وعندما تستهدف رجلاً لا قبل له بمقاومة جمعية الكويكرز . فيفقد ملكيته لعجزه عن الذود عنها . عندئذ أقول ان انعتاق العبيد من الظلم لا من الإنسانية . لأن ما يؤدي إليه من شرور وآلام هو أكثر مما يعالجه ويشفيه منها » .

يظهر « جورج واشنطن » من جديد في صورة الحاكم الاصلاحي الذي يدرك الفارق المميز بين الواقع وبين المثل الأعلى ، أو ما يجب عمله لتطوير الواقع السيء للسير نحو المثل الأعلى ، فواشنطن دونما ريب صادق كل الصدق في رغبته لتحرير العبيد ، انما يريد لعملية التحرير هذه أن تسير بدون عنف أو اضطراب ، وهو يضع قبل كل شيء المصلحة الشاملة للولايات المتحدة فوق مصلحة بعض الولايات التي قد تتأثر بتحرير العبيد المباغت فتعلن انفصالها في وقت لا تزال فيه هذه الولايات غضة العود ، ضعيفةَ التماسك ، فكان دعم الاتحاد وتقويته يحتل الأفضلية فوق قضية تحرير العبيد خلال تلك المرحلة الحرجة . وقد جاءت الأحداث مؤكدة لوجهة نظر واشنطن ، إذ انفجرت الحرب الأهلية الأمريكية من منطلق « تحرير العبيد » . وتحملت أمريكا من الخسائر أضعاف ما تكبدته في حرب الاستقلال (*) غير ان

(*) جدير بالذكر ان خسائر الولايات المتحدة – بشرياً – في حرب الاستقلال . قد بلغت (٤٤٣٥) قتيلاً . في حين ارتفعت خسائرها في حرب الانفصال أو الحرب الأهلية (١٨٦١ – ١٨٦٥) ما يزيد على (٤٩٨,٣٣٣) قتيلاً ، أي أكثر من أحد عشر ضعفاً .

انفجار حرب الانفصال قد جاء بعد ثمانين سنة تقريباً من حرب الاستقلال . فكان تماسك الولايات قد اكتسب قدراً من القوة ومن القناعة بالمصلحة المشتركة ، مما ضمن الظروف لبقاء الاتحاد وتطوره .

لقد كان «جورج واشنطن» يرغب في بناء مجتمع جديد ، تنصهر فيه جميع التناقضات بالحوار المستمر والصراع السلمي ، ولهذا فعندما قام واشنطن رئيساً على مصائر الجمهورية ، تلقى من إحدى جامعات جنيف عرضاً بنقل مجلس اساتذتها بكامله ، إلى الولايات المتحدة ، لتأسيس جامعة وطنية كبرى ، وقبل بهؤلاء الأساتذة فرداً فرداً ، إلا أنه رفض قبول هذه «الهيئة من الأجانب برمتها» . وهو يشرح في رسالة إلى جون آدامز أسباب «رفضه وجودهم كهيئة كاملة متكونة» فهو اجراء خطر ، إذا ما أتوا كتلة واحدة . وهم كما كتب يقول : «**سيحتفظون باللغة والعادات والمبادئ التي سيحملونها معهم ، سواء كانت تلك العادات والمبادئ صالحة أم سيئة ، أما العكس ، أي إذا اختلطوا بشعبنا فهم ومن سيتحدرون منهم ، سيتمثلون اعرافنا وسنننا وقوانيننا ، وبايجاز ، سرعان ما سيغدون جزءاً من شعبنا . أما إذا قدموا مجموعة واحدة فسيعيشون ، بعضهم بين بعض ، أجانب مختلفين اختلافاً كبيراً عن الآخرين**» .

وذلك يفسر أيضاً موقف واشنطن من حركة التمرد التي أطلق عليها اسم «عصيان الويسكي» الذي حدث سنة ١٧٩٣ ، عندما نهض ثلاثة آلاف مزارع احتجاجاً على الضريبة التي فرضتها الحكومة على انتاج «الويسكي». وهاجم العصاة موظفي الحكومة الذين أتوا لتحصيل الضريبة ، واقتحموا مخافر الشرطة واستولوا عليها . فما كان من واشنطن إلا أن أعلن غضبه بقوله : «انني اعتبر هذه الفتنة الثمرة الأولى والهائلة للجمعيات الديموقراطية . ان المتمردين قد ثاروا متذرعين بمعارضتهم قانوناً معيناً ، غير انهم إنما يثورون في الحقيقة تعبيراً عن روح معادية لكل نظام . وان النظام قبل العدالة . ولهذا سيتم ضرب العصيان بقوة ، إنما بحذر» .

يتصرف واشنطن في تلك الفترة بقوات كبيرة . ففي أوائل ولايته سنة ١٧٨٩ ، لم يزد جيشه على (٨٤٠) رجلاً . ثم سمح قانون ٣٠ نيسان – ابريل – ١٧٩٠ بتطويع (١٢١٦) ضابطاً وجندياً وموسيقياً . وبعد مدة وجيزة ، خول الكونغرس الرئيس ، لقمع الهنود الحمر على الحدود ، سلطة تجنيد وحدات لمدة أقصرها ستة أشهر ، على ألا يتجاوز تعدادها (٢٠٠٠) رجل . كما أقر الكونغرس في عام ١٧٩٢ تشكيل

ثلاث كتائب لمكافحة الهنود أيضاً ، على أن يسرح الجنود حال طلب الهنود الحمر للصلح . فالرئيس إذاً لا يملك قوات هامة يواجه بها (٣٠٠٠) مزارع متمرد . لذلك كان أريباً حين أمهلهم أولاً مدة ثلاثة أسابيع للرضوخ ، وهي بادرة صالح وشهامة تدع له مهلة لتنظيم فيلق للتدخل عدده (١٥) ألف مقاتل . وقد استدعي الحرس الوطني من فرجينيا وماري لاند ونيوجرسي وبنسلفانيا . على أن يتم الاعتماد على «الأناس الخيرين» وفي ذلك يكتب واشنطن بعد أن أمكن تحقيق النجاح في قمع العصيان :

«لقد شوهد جنرالات على رأس فصيلة واحدة ، وضباط وقادة يصلون إلى المكان المعين لهمْ ، ولا يجدون القيادات التي تناسب رتبهم . فينضمون إلى الوحدات جنوداً عاديين في الخدمة وبامرة ضباطها الذين هم دونهم رتبة ، وشوهد عدد كبير من أعظم رجال البلاد شأناً يختلطون بالجند ويقومون ، يوماً بعد يوم ، بمسير طويل ، وحقائبهم ومؤونتهم على ظهورهم . ينامون على القش بغطاءين (بطانيتين) تحت خيم الجنود في ليالي الصقيع التي مرت علينا . ولعل ما هو أدعى للدهشة ، أن عدداً كبيراً من شباب الكويكرز ومن أكرم الأسر وأغناها وأوقرها ، قد تطوعوا في الخدمة وساروا مع الجند».

ونجح واشنطن ، وغدت الجمهورية الأرستقراطية أشد ثباتاً على قواعدها . بعد أن تم سحق العصيان .

ولم يكن نجاح واشنطن إلا بسبب قدرته على تحقيق التوازن من خلال اعتماده على «نخبة الخيرين».

يذكر في هذا المجال ، أن واشنطن قدْ أظهر جنوحه للاعتماد على هذه النخبة ، منذ توليه لقيادة الجيش ، ففي رسالة له وجهها أثناء الحرب إلى العقيد (الكولونيل) جورج بايلور ، في ٩ كانون الثاني -يناير- ١٧٧٧ . جاء ما يلي : «لا تختاروا ضباطاً إلا من السادة -الجنتلمان-» وعندما خُول واشنطن السلطات التامة من قبل الكونغرس في كانون الأول -ديسمبر- ١٧٧٦ ، اغتنم هذه الفرصة : «من أجل فصل الضباط غير الجديرين ليحل محلهم ضباطاً من ذوي النسب والثراء» وكان واشنطن يوضح تعليماته كما يلي : **«ان ما ينبغي الاحتراس منه في اختيار الضباط هو الا يتقارب الضباط والجنود والأفراد كثيراً في أوضاعهم ومستوياتهم . فتسلسل المراتب غالباً ما ينتقل من الحياة المدنية إلى الحياة العسكرية . وعندما لا يكون القدم في الخدمة عاملاً من عوامل الاختيار . فالقاعدة التي ينبغي أن تهيمن**

هي أن نعرف ما إذا كان المرشح لرتبة ضابط يستطيع أن يعد بحق من السادة – الجنتلمان – وإذا كان يملك حقاً الاحساس بالشرف والكرامة ، وسمعة يعز عليه أن يغامر بها » .

عندما انتهت الحرب ، أسس الضباط القدماء جمعية «سينسناتي» التي حددت أهدافها في بيان أصدرته في شهر أيار – مايو – ١٧٨٣ وهي : «الدفاع عن الحقوق التي قاتلنا من أجلها ، وتدعيم وحدة الولايات والشعور القومي اللذين لا بد منهما لسعادة الامبراطورية الأمريكية ، ولمكانتها في المستقبل ، والمحافظة على صلات المحبة والصداقة التي توحد بين الضباط ، ومد يد المعونة إلى من يحتاجون منهم إليها» . وقبل واشنطن أن يترأس في عام ١٧٨٤ ، أول اجتماع للجمعية المذكورة ، إلا انه اعتذر عن ترؤس اجتماع العام الثاني ، متذرعاً بأسباب صحية ، وهو الاجتماع الذي عقد في فيلادلفيا ، (بينما كانت تنعقد في آن واحد الجمعية الدستورية) أما الانتماء إليها فهو انتماء وراثي ، استناداً إلى حق البكورية (لا يرث إلا البكر) وكانت ميولها الارستقراطية تثير حساسية الديموقراطيين . ولذلك ضحى واشنطن بميوله الشخصية وتعاطفه واياها خوفاً من تعكير الأمن . وابتعد عنها . وفي أيار – مايو – ١٧٨٢ . كتبت فئة من الضباط إلى واشنطن تحثه على الإطاحة بالجمهورية ، واعلان نفسه ملكاً على أمريكا . غير ان واشنطن «**رفض العرض مندهشاً دهشة مؤلمة كبيرة**» .

بقي «جورج واشنطن» محافظاً بثبات على مواقعه . حريصاً كل الحرص على بناء أمريكا المستقبل على أسس الثورة ذاتها ، ولهذا لم يكن من الغريب أن يكتب في عام ١٧٧٨ ، والحرب لا تزال في ذروة عنفها وقوتها . رسالة إلى «جوزيف ريد»[٥٣] : «يلح فيها على ضرورة انزال عقاب رادع بجميع أولئك المجرمين ، قتلة قضيتنا من المحتكرين والمضاربين والمختزنين» وفي رسالة أخرى وجهها إلى «بنيامين هاريسون»[٥٤] جاء مايلي : «يبدو أن المضاربة وابتزاز أموال الشعب والظمأ للثراء الذي لا يرتوي ، قد تغلبت على كل اعتبار آخر ، وعلى كل قيمة إنسانية» .

(٥٣) جوزيف ريد : (JOSEPH-REED) (١٧٤١ – ١٧٨٥) محام ، مرافق واشنطن في حرب الاستقلال ، مندوب ولاية بنسلفانيا إلى المؤتمر القاري (الكونغرس) ألغى الرق في ولايته ، وهو من مؤسسي جامعتها.

(٥٤) بنيامين هاريسون (١٧٢٦ – ١٧٩١) أحد موقعي بيان الاستقلال ، مندوب ولاية فرجينيا إلى الكونغرس. وقد أصبح ابن حفيده (بنيامين هاريسون) أيضاً الرئيس الثالث والعشرين للولايات المتحدة (١٨٣٣ – ١٩٠١) .

وجاء في رسالة له ثالثة كتبها في شهر آذار – مارس – سنة ١٧٧٩ ما يلي :

«هذه القبضة من المحتالين الساعين وراء الثراء ، وابتغاء ذلك ، وإرواءً لجشعهم . هل سيطيحون بالبناء الجميل الذي رفعناه بعد لأي وزمن طويل وبالدم والمال ؟ وهل سنغدو في نهاية المطاف ضحايا ظمئنا للكسب والربح ؟».

لم يكن جورج واشنطن مغمض العينين، وهو يبني المجتمع الجديد ، عن كل ما يضمه مجتمعه من المفاسد ، غير انه اختار الطريق المناسبة للقضاء على هذه المفاسد ، حتى لو تطلب الأمر جهداً أكبر ، وتضحية أكثر . وهو – بالرغم من أرستقراطيته – احتفظ بكل عوامل الخير في أعماق نفسه لكل مواطنيه ، وهو إذا ما دعم النخبة الارستقراطية لتسلم المناصب ، فهو إنما يفعل ذلك إيماناً منه بأفضلية هذه النخبة لدعم الحكم الصالح .

ترى هل نجح واشنطن في مسعاه ، وحقق مناه ومبتغاه ؟ .

ليس هناك من ينكر نجاحه ، وحتى أبعد الحدود ، في تحقيق التوازن ، ودفع عجلة التقدم في بلاده شوطاً بعيداً خلال فترة قياسية من عمر الزمن .

وقد يكون من غير العدل تحميل «جورج واشنطن» ما حدث بعدئذ من انحرافات ثقيلة سواء على مستوى الداخل – الأمر الذي أدى إلى حرب الانفصال – أو على مستوى الخارج – حيث حروب التدخل الأمريكية في العالم – منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم .

كان واشنطن طوال حياته القيادية ، في الحرب والسلم ، يعمل على تحقيق التوازن في الأمور كلها ، حتى لو كان في هذا التوازن ما يتناقض مع مصالحه الشخصية ، أو نزعاته وميوله .

ولم يكن هذا التوازن واضحاً فقط في إدارته الداخلية ، وإنما هو واضح أيضاً على مستوى السياسة الخارجية ، فعندما انفجرت الثورة الافرنسية ، ووقعت الحرب بين فرنسا وانكلترا ، ظهر في الولايات المتحدة تياران متناقضان تماماً ، أولهما ، يميل إلى زج الولايات المتحدة بالحرب إلى جانب فرنسا التي وقفت طوال حرب الاستقلال الأمريكية إلى جانب الشعب الأمريكي . والاتجاه الثاني يميل إلى خوض الحرب إلى جانب انكلترا التي ترتبط مع الولايات المتحدة برابطة (القربى والدم) على الرغم

من الصراع المرير الذي سبق وقوعه أثناء حرب الاستقلال . وحسم واشنطن الموقف بقوله : «**لا يحق لأي أمة ان تتدخل في الشؤون الداخلية لأي أمة أخرى ، ولكل أمة الحق بأن تنشىء وتقيم شكل الحكم ، أي شكل ، تؤثر العيش فيه**» وبذلك أمكن ابعاد أمريكا عن بؤرة الصراع الأوروبي ، وتحقيق توازن في علاقات أمريكا بالدول الأجنبية .

وبعد ، قد يكون من العسير جداً الإحاطة بحياة هذا القائد العسكري والزعيم السياسي . لقد كانت حياته حافلة بجلائل الأعمال ؛ قبل القيادة العسكرية متوجساً وجلا ، وحقق في ممارسته للقيادة ما لم يتمكن من تحقيقه رجال الحرب المحترفون ممن كانت تدخرهم الامبراطورية العظمى – بريطانيا – لأيام حربها ؛ وتولى الإدارة السياسية متردداً حذراً ، فأرسى قواعد الدولة على أسس ثابتة وراسخة . لم يكن يبغي جاهاً ولا سلطاناً . فالحكم بالنسبة له عبء وواجب ومسؤولية . لا مغنماً ولا مكسباً . وعرض عليه تاج الملك على ما به من ضياء وهاج . تماماً على نحو ما عرض تاج الامبراطورية على نابليون بونابرت بعد زهاء ربع قرن . فرفض واشنطن تاج الملك وبريقه ، وقبل نابليون – رجل الثورة – تاج الامبراطورية .

ومضى واشنطن إلى مزرعته «مونت فرنون» يعيش حياة الطبيعة التي تزهو على كل تاج . ولم يمهله الأجل ، فمات بعد سنتين ، تاركاً لشعبه دولة لم يكن يعرف انها ستصبح بعد قرنين من عمر الزمن إحدى الدولتين العظميين في العالم .

المراجـــع الرئيســة للكتــاب

١ - الحكم والتاريخ - كلود جوليان - نقله إلى العربية نخلة كلاس. وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٨.

٢ - المعارك الفاصلة في التاريخ - حنا خباز - دار الكاتب العربي - بيروت - لبنان ١٩٥٩.

٣ - رواد الاستراتيجية الحديثة - ادوارد ميد ايرل وآخرين - ترجمة وتقديم محمد عبد الفتاح ابراهيم - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٥٧.

4 — THE AMERICAN SOLDIER 1775-1781. (KLINGER, ROBERT.L. AND WILDER, RCHARDA) SKETCH- BOOK 76

5 — GEORGE WASHINGTON'S ARMY (PETER YOUNG) OSPREY PUBLISHING LIMITED. 1972.

6 — THE DECISIVEBATTLES OF THE WESTERN WORLD (J.F.C. FULLER) PALADIN 1970.

محتويـــات الكتـــاب

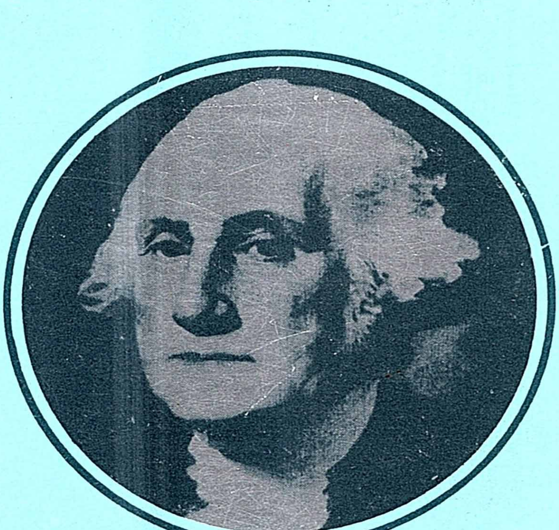
صدر للمؤلـــف عن
المؤسسة العربية للدراسات والنشر

(أ) مجموعة مشاهير قادة العالم :

١ – الاسكندر المقدوني .
٢ – هانيبال (هاني بعل) .
٣ – يوليوس قيصر.
٤ – مارلبورو .
٥ – فريدريك الكبير.
٦ – جورج واشنطن .

(ب) الحرب والحضـــارة .

(ج) مذكرات ليدل هارت (مترجم) .



انتصرت الثورة الاميركية، واعترفت انكلترا باستقلال الولايات المتحدة الثلاث عشرة يوم ٣٠ تشرين الثاني - نوفمبر - ١٧٨٢، ويرتفع عدد الولايات فيبلغ الخمسين ويصبح عدد سكانها في سنة ١٩٨٠ (٢٢٠) مليوناً، ولكن، وعلى الرغم من تقادم الزمان، وعلى الرغم مما وصلت اليه الولايات المتحدة من تقدم في ميادين العلم والتقنية والاختراع فان بصمات جورج واشنطن ما زالت بادية بوضوح على جسم الامة الاميركية، حتى لكأن بطل الاستقلال وقائد جيش ثورتها ما زال يطل بقامته وبزته من فوق «البانتاغون» ويقف على منبر «الكونغرس».

لقد قاد جورج واشنطن بلاده في وقت كانت فيه انكلترا تمتلك السيطرة على مفاتيح البحار، فكانت قيادته للحرب اقرب للمغامرة واشبه بالحلم، ومن تلك المغامرة وعبر ذلك الحلم حقق واشنطن أروع انتصاراته. لقد عمل على قيادة الحرب باساليب «الحروب الثورية» فكان بذلك رائداً من رواد قادة الحروب الثورية. ونظم جيشه وفقاً للاساليب السائدة في عصره، فكان قائداً بارزاً في مجال تنظيم الجيوش وادارة الحروب النظامية.

وتولى ادارة بلاده في اصعب فترة من تاريخها، فكان رجل دولة من الطراز الاول يتجاوز في الحالات كلها ظروف الحاضر الى أفق المستقبل، ذلك هو اكثر ما يمكن تعلمه من حياة (خادم امته ووطنه - جورج واشنطن) وتبقى بعد ذلك ابواب التاريخ مشرعة أمام رواد التاريخ لتعلم كل ما هو مفيد لبناء المستقبل.

المؤسّسة العربيّة
للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير - ت ١/ ٨٠٧٩٠٠
برقياً «موكيالي» بيروت - ص. ب: ١١/٥٤٦٠ بيروت

الثمن : ٨ ل.ل.
أو ما يعادلها